مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر

في كل شهر عربي

الجزء السادس	١٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠	المجلد الثاني عشر

مدير إدارة المجلة ورئيس تحريرها

محمد فريد وجدي

الإدارة

ميدان الأزهر

تليفون : ٨٤٣٣٢

الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراكات عن سنة

	ملم
داخل القطر	٢٠٠
لطلبة الجامعة الأزهرية خاصة ...	١٠٠
خارج القطر	٣٠٠

ثمن الجزء الواحد ٢٠ مليما داخل القطر و ٣٠ خارجه

(مطبعة الأزهر — ١٩٤١)

فهرس

الجزء السادس — المجلد الثانى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحديد

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الامام الشيخ محمد مصطفى المراغى
شيخ الجامع الأزهر

— ٥ —

﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ، إن الله قوى عزيز ﴾ :

الوزن : معرفة قدر الشيء . والمتعارف فى الوزن عند العامة ما يقدر بالقبّان ونحوه . وقوله تعالى : « وأقيموا الوزن بالقسط » أمر بمراعاة المعدلة فى جميع ما يتحراه الانسان من الأفعال والأقوال .

والقسط : النصيب بالعدل . والبؤس والبأس : الشدة والمكروه .

والغيب : يستعمل فى كل غائب عن الحواس وعما يغيب عن علم الانسان . ويقال للشيء غيب وغائب باعتبار الناس لا باعتباره سبحانه وتعالى ، فانه لا يغيب عنه شيء .

طلب الله سبحانه فى الآيات السابقة الإيمان به والإيمان برسله ، وبيّن أن ما يدعو اليه الرسل منزل من عنده أراد الله سبحانه به إخراج الناس من الظلمات الى النور رأفة منه ورحمة بهم ؛ وفى هذه الآيات بيّن الغرض من إرسال الرسل وإنزال الكتب والموازين ، وهو أن يقوم الناس بالعدل ، فيأخذ كل واحد حقه لاغير ويعطى حق غيره . وما اشتملت عليه الكتب السماوية جميعه ، سواء كان متعلقا بالعقائد أو بالأخلاق أو بنظام الأسر والمجتمع أو بقواعد التعامل بين الأفراد والجماعات ، عدل كله ، وحق كله ، وفى العمل به نصفة وقيام بالقسط ؛ فاذا نزهت الله سبحانه عما لايليق به وآمنت به وبرسله ، فذلك عدل وإعطاء للحق ؛

وإذا تخلقت بالأخلاق الحقة الفاضلة ، فقد زكيت نفسك وأعطيتها حقها ، ويتبع ذلك أن تعامل الناس بالحسنى وتعطيهم حقهم ؛ وإذا عاملت الناس على وفق أحكام الله المنزلة ، فقد أعطيتهم حقهم وأخذت حقك وقمت بالقسط .

أرسل الله الرسل بالبينات والأدلة والمعجزات الدالة على نبوتهم ، وأنزل الكتب لتكون معهم يدعون الناس الى هديها ، وفى هذه الكتب مقاييس العدل وموازينه ، وهذه المقاييس والقواعد هى الميزان الذى أنزله الله سبحانه ؛ فليس الميزان شيئا آخر ماديا ، وليس شيئا غير ما فى الكتب .

أنزل الله الميزان ليعدل الناس ، كما أنزل الحديد ، أى خلقه وجعله ذا بأس وشدة ونكاية ، وأودع فيه منافع لا عداد لها ، ليستعمله الناس فيما خلق له ، وليستعمله الناس فى النكاية بأعداء الله الظالمين عباده ، وفى الانتصار للحق ، حتى يعلم الله من ينصره وينصر رسله وهو غائب لا يبصره . والله قوى عزيز . والقوى هو الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ، فلا يمسه نصب ولا تعب ، ولا يدركه قصور ولا عجز . والعزيز هو الذى لا يقهر ولا يغلب ولا يعارض .

فسرنا إنزال الحديد بخلقه وتهيئته ، وذلك مروى عن الحسن ؛ ونظيره قوله سبحانه : « وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج » ؛ وتبعنا فى تفسير الميزان جمهورا من العلماء . وقد قال الغزالى رضى الله عنه : أتظن أن الميزان المقرون بالكتاب هو ميزان البر والشعير والذهب والفضة ؟ أم تتوهم أنه الطيار والقبان ؟ ما أبعد هذا الحسبان وأعظم هذا البهتان ! واعلم يقينا أنه ميزان معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته .

ذكر الله سبحانه الكتاب والميزان والحديد ، وقرنها بعضها ببعض ؛ فالكتاب إشارة الى الأحكام المقتضية للعدل والإنصاف ؛ والميزان إشارة الى سلوك الناس على وفق هذه الأحكام ؛ والحديد إشارة الى ما يحملهم على اتباع هذه الأحكام إذا تمردوا ؛ والله سبحانه وهو العليم الحكيم لا يضع للخلق من القوانين إلا ما فيه مصلحتهم ؛ وخيار الخلق تكفيهم تلاوة الكتاب وعلمه لاتباع ما فيه ؛ وغيرهم لا بد له من الوازع وهو سلطان الحاكم المشار اليه بالحديد ؛ ولذلك وجدت التعازير فى الاسلام ، ووجدت الحدود ؛ أما ترك الناس أحراراً من غير وازع فهو ضار بالمجتمع الانسانى ، وموجب للتراخى فى إقامة العدل واتباع القانون ؛ جرب هذا فى العصور المختلفة ، وقامت الشواهد الناطقة فى العصر الحديث عليه ، وعلم أن الأمم التى لم تحط أخلاقها بوازع انحدرت الى الدرك الأسفل ، وأضلتها الشهوات . وقد كانت درة عمر سلكا قويا للنظام الاسلامى ، فلما رفعت ضعف ذلك الرباط .

وقد ذكر الله للحديد فائدتين : الأولى : أن فيه البأس والشدة والنكاية ، فآلات الحروب

جميعها منه أو تحتاج اليه ، وبخاصة إذا أريد بالحديد جنس المعادن ، كما عليه بعض المفسرين ؛ فمنه الرماح والسيوف والدروع قديما ، ومنه المدافع والقنابل والطائرات والدبابات والسيارات ، وسفن البحر على اختلاف أنواعها مما يسبح فوق الماء أو يغوص فيه ؛ وعلى الإجمال فقد كشف العصر الحديث عن ذلك البأس بما لا يدع مجالا للبحث .

والفائدة الثانية : أن فيه منافع للناس ، وذلك واضح ، فما من شيء من ضروريات الحياة أو كمالياتها إلا وللحديد دخل فيه ؛ فهذه سفن الملاحة وطرق السكة الحديدية وما يتبعها من قاطرات وعربات ، وأدوات الحرث والطحن والغزل والنسيج ، وآلات البناء ومواده ، وسيارات الركوب ، وآلات الطباعة والطباخة والأكل ، وأدوات الزينة ؛ كل ذلك من الحديد ، أو يرجع اليه ، أو يحتاج اليه .

امتن الله سبحانه على خلقه بالحديد ، ولم يمتن فى هذا الموضع بما هو أغلى قيمة منه كالذهب والفضة ، لأنه أعم وجودا ، وأسهل تناولا ، وأكثر فائدة ؛ ومن نعمة الله سبحانه أن سهل كل ما تشتد اليه الحاجة وجعل وجوده أكثر . وأعظم الأشياء قيمة فى الحياة أكثرها وأسهلها تناولا ، وأحقر الأشياء قيمة فى الحياة أندرها وجودا وأغلاها ثمنا ؛ فما هى قيمة الجواهر الكريمة للحياة إذا قيست بالهواء والماء ، أو قيست بالبر والشعير ؟ وهكذا إذا نظرت الى الأطعمة وجدت ما هو لازم منها وضرورى ، أرخص مما هو غير لازم لزومه .

بعد أن امتن الله بالكتب والميزان والحديد ، بين أنه قوى عزيز مستغن عن خلقه ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لإقامة العدل والدفاع عنه ؛ والدفاعُ عن العدل هو نصرة الله والرسول ؛ وبهذا البيان أعذر من لم ينصره ، وأشار الى أنه لا عذر له . وقد قال بعض الناس فى قوله سبحانه : « وليعلم الله من ينصره ورسله » : أى وليعلم حزبُ الله ومتبعوه من ينصر الله ورسله ، فرارا من توهم أنه حدث له علم بعد أن لم يكن ؛ والواقع أنه عالم من ينصره قبل أن ينصره ، ولا داعى الى هذا ، فان المعنى : ليعلم من ينصره علما يتعلق به الجزاء ، وذلك لا يكون إلا بعد وقوع النصرة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ :

نوح أول الرسل الى الأرض ؛ وإبراهيم قد انتسب اليه أكثر الأنبياء ، وعظم فى كل الأديان ، ومن ذريته الأنبياء الذين جاءوا بالكتب الأربعة : التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والفرقان ؛ وهو من ذرية نوح أيضا ؛ فالنبوة والكتاب لا تخرج عن ذريتهما ، ولذلك خصا بالذكر .

وقوله سبحانه : « فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون » معناه أن بعض هذه الذرية اهتدى بكتب الأنبياء واتبعها ، والبعض فسق عن أمر ربه وضل السبيل ، فخرج على الدين جملة وكفر به ، أو بقى فيه وارتكب الإثم والعصيان ، وهؤلاء كثيرون .

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا ، وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ :

التقفية : جعل الشيء فى إثر الشيء على الاستمرار .

والآثار : جمع إثر بالكسر ، تقول : خرجت على إثره أى عقبه .

والرأفة والرحمة : اللين والشفقة .

والرهبانية : الخصال والأفعال المنسوبة الى الرَّهبان بفتح الراء وهو الخائف ، فعلان من رهب كخشيان من خشى .

والابتداع : ابتداء أمر لم يحتذ فيه على مثال . والبدعة منه ، وسيأتى بيانها .

ومعنى الآيات : أن الله سبحانه أرسل عقب نوح وإبراهيم على التتابع رسولا بعد رسول حتى انتهى الأمر الى عيسى فأعطاه كتابه المسمى بالإنجيل ، وجعل الله فى قلوب الذين آمنوا به واتبعوه رأفة ورحمة على عباده ، وجعلهم أيضا رحماء فيما بينهم ، كما كان المؤمنون فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ثم زاد الله فى ألطافه معهم حتى قويت دواعيهم الى الطاعة والتشدد فى العبادة ، فأحدثوا الرهبنة وابتدعوها ابتغاء رضوان الله ومغفرته ، ولم يكتبها الله سبحانه عليهم . أحدثوا هذه الرهبنة فرعاها الأولون المخلصون حق رعايتها ، ثم خلف من بعدهم خلف تظاهروا باتباعها ورعايتها ، ولكنهم تركوها باطنا ، وضعفت عندهم دواعى التشدد فى الطاعة ، فأخلوا بما عاهدوا الله عليه ونذروه ، وبذلك فسقوا وخرجوا على العهد ، فليس لهم حظ من الأجر ؛ وهؤلاء كثيرون . أما الذين آمنوا ورعوا ذلك العهد وحافظوا عليه فقد وفاهم الله أجرهم .

ومعنى تلك الرهبانية التى ابتدعوها : تحمل الكلف الزائدة على ما كلفوا به ، فهم قد زهدوا فى الدنيا ونسكوا ، وحببت إليهم الخلوات واعتزال الخلق . لبسوا الخشن ، وأكلوا الغليظ من الطعام ، وتركوا النساء ، وتعبدوا فى الكهوف والغيران ، وخلصوا أنفسهم للعبادة متحملين ضروب العنت والمشقة حبا فى طاعة الله .

هذه أوصاف أتباع عيسى كما وصفهم القرآن ، فما الذى بقى من أوصافهم وأوصاف أتباع محمد ؟ ندع هذا تجيب عليه الحوادث ، ويجيب عليه الواقع .

وقوله سبحانه : « ابتدعوها » إما صفة لرهبانية ، أو معمول لعامل محذوف تقديره : وابتدعوا رهبانية ابتدعوها ابتغاء رضوان الله . والاستثناء فى قوله : « إلا ابتغاء رضوان الله » منقطع ، ومعناه لكن ابتدعوها .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ :

من الممكن أن يكون الخطاب لمن آمن بالأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ؛ طلب إليهم أن يؤمنوا به ، ووعدوا نصيبين من الأجر : نصيب على الإيمان بالأنبياء قبله ، ونصيب على الإيمان به ؛ ووعدوا أيضا ذلك النور الذى يسعى أمام المؤمنين يوم القيامة هاديا لهم الى الجنة ؛ ووعدوا المغفرة على ما فرط منهم من العصيان . ومن الممكن أن يكون الخطاب لمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ طلب إليهم التقوى والاستمرار على الايمان ، ووعدوا نصيبين من الأجر أيضا : نصيب على إيمانهم به ، ونصيب على إيمانهم بالأنبياء قبله ، كما وعدوا النور والمغفرة .

﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ :

اللام فى « لئلا يعلم » زائدة ، بدليل القراءة الثانية : ليعلم أو لكى يعلم .

كان بنو إسرائيل يقولون : إن الوحى والرسالة فيهم ، والشرع والكتب لهم وحدهم ، خصوا بهذا كله ، وموسى آخر الأنبياء لا تنسخ شريعته . فنفى الله سبحانه هذه المزاعم ، وبين أن الفضل بيده يؤتيه من يشاء ، ولا يملك أحد أن يخص به واحدا أو يخص به أمة ، فهم لا يقدرون على تخصيص فضل الله بهم أو بغيرهم ، ولا يملكون حصر الرسالة فيهم .

نفى الله هذه المزاعم حيث طلب إليهم أن يؤمنوا بمحمد ، وبين لهم أنهم لا ينالون النور والمغفرة إلا بالإيمان به ؛ أو حيث طلب من أمة محمد الاستمرار على الإيمان به ، وبين لهم أنهم لا ينالون المغفرة إلا بذلك . وعلى كلا الحالين فهناك فضل لمحمد صلى الله عليه وسلم ثابت من الله ؛ والإشعار بهذا الفضل إعلام لبنى إسرائيل وغيرهم بأنهم لا يقدرون على شىء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وأنه صاحب الفضل العظيم .

لم يذم الله سبحانه أتباع عيسى على الابتداع ، لكنه ذمهم على عدم رعايته ، فهل الشأن فى الاسلام كهذا أو للبدعة شأن آخر ؟

عن أبى وائل عن عبد الله قال : « خطَّ لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا طويلا وقال : هذا سبيل الله ، ثم خط لنا خطوطا أخرى عن يمينه وعن يساره وقال : هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ، ثم تلا « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتَفَرَّقَ بكم عن سبيله » .

وعنه صلى الله عليه وسلم « من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد . أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة » .

وكان عمر رضى الله عنه يقول : « إنما هما اثنتان : الكلام والهدى ، فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ، ألا وإياكم ومحدثات الأمور فان شر الأمور محدثاتها ؛ إن كل محدثة بدعة »

وقال مالك : « من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة . والمبتدع باحداثه جديدا أنزل نفسه منزلة الشارع » .

فهذا يدل على ذم البدعة فى الإسلام ؛ لكن تمييز البدعة عن غيرها قد يكون سهلا وقد يدق ؛ إلا أنه يجب ألا يغيب عن الفكر هذه القاعدة ، وهى أن العبادات من الأمور التى وضعها الله سبحانه لمصلحة عباده ، فلا يجوز أن يزاد فى العبادة شىء على ما ورد به الشرع ، فلا تستحدث عبادة جديدة ، ولا يزاد شىء فى كمية عبادة مشروعة أو فى كيفيتها وهيئتها ، ولا يلتزم وقت معين فى عبادة لم يرد فيها تعيين .

وكما تكون البدعة فى إحداث جديد ، تكون فى ترك شىء من الأشياء المباحة على سبيل التدين والتعبد ، كترك نوع من الأطعمة ونوع من اللباس أباحه الشارع لكنه تركه زهدا وقصد بذلك العبادة ؛ ففى هذه الحالة وضع نفسه منزلة الشارع فى اعتبار الترك عبادة ، والشارع لم يشرع ذلك إلا فيما عيّنه ، لكنه إذا ترك لا على نية العبادة لم يكن الترك بدعة . وأهم خصائص البدعة قصد التعبد والتدين فيما أحدث ، سواء أكان فعلا أم تركا .

ومادة بدع تدل على الاختراع على غير مثال سابق ؛ ومن ذلك قوله سبحانه : « بديع السموات والأرض » أى مخترعهما على غير مثال سابق متقدم ؛ وقوله سبحانه : « قل ما كنت بدعا من الرسل » معناه : ما كنت أول من جاء برسالة من عند الله . وبناء على هذا يقال : ابتدع فلان بدعة : أى اخترع طريقة لم يسبقه إليها سابق ؛ ثم خصت البدعة فى لسان الشرع بعمل لا يوجد دليل عليه من الشرع ، على أن يقصد بهذا العمل المبالغة فى التعبد ، وعلى أن يقصد به مضاهاة الأمور الشرعية ، ويلبس به على الناس ، ويوهم واضعه أن له أصلا فى الشريعة .

بناء على هذا لا تشمل البدعة شيئا مما أحدثه الناس لمصالحهم الدنيوية النافعة فى الزراعة والتجارة والأكل والملبس والحروب وطرق المواصلات وطرق نقل الأخبار ، ولا يكون استعمال شىء من هذا ابتداعا ، وإنما هو انتفاع بمباح ، وبزينة أخرجها الله لعباده .

وهناك أمور يعرض لها أن تكون بدعة وأن لا تكون بدعة ؛ مثلا : الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم وبيوم الهجرة وبالمحمل ، إذا فعلت هذه على أنها عبادة وتدين كانت بدعة بلا شبهة ، لأنه إحداث عبادة لم تكن ولم يؤذن فيها ؛ أما إذا فعلت على سبيل العادة ، وعلى أن الاحتفال بالهجرة وبمولده صلى الله عليه وسلم احتفال بذكريات عزيزة كانت سببا للخير وموجبة للشكر ، لتنبعث نفس المؤمن الى التمسك بالهدى وبالخلق الكريم ، لم تكن بدعة لأنه لم يقصد بها التدين ، ولم يرد إحداث شىء فى الدين . لكن إذا حفت هذه المحدثات التى ليست بدعا بما هو بدعة ، وبما هو مخالف للشريعة ، حرمت ، لما هو ملابس لها من البدع ، ولما هو ملابس لها من المعاصى . وكل معصية فشت لا تسمى بدعة ؛ فجميع ما يقع فى الأسواق والمجتمعات والمساجد ، وكل ما أطلق الناس لأنفسهم فيه العنان مما هو مخالف لقواعد الشريعة ، لا يسمى بدعة ، وإنما هى معاص ومحرمات .

وملاحظة ضوابط البدعة يساعد كثيرا على معرفة البدعة . وقد قلنا إن أهم المميزات والخواص أن يحدث الشىء على أنه دين يتعبد به ، وعلى أن يقصد فاعله التعبد والتدين والتقرب الى الله سبحانه به .

هناك أمور قد تظن بدعا وهى عبادة ؛ مثلا : تدوين الحديث ، وتدوين اللغة ، ودراسة علم الكلام ، والمنطق ، ودراسة جميع المعارف النافعة ، هذه اخترعت على غير مثال سابق مع أن المسلمين يعتقدون أنها عبادات ؛ وفى الحق أنها عبادات ؛ وسبب ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » ، والفقه فى الدين موقوف بلا شك على الإحاطة باللغة ، والحرصُ على أن تكون سليمة موقوف على التدوين ، وحمايةُ العقائد الاسلامية والحجاج للايمان بالله والرسل ، وأصله موجود فى الكتاب ، موقوف على دراسة الكلام والمنطق ؛ فلهذه الأشياء سند من قواعد الدين العامة ، وسند من المصالح المرسلة ؛ وخاصة البدعة ألا يكون لها سند .

وأكتفى الآن بهذا ، والوقت لا يتسع لأكثر منه .

وهذه السورة الكريمة التى يسر الله أن تكون موضع الأحاديث الدينية فى هذا الشهر المبارك ، يمكن أن يطلق عليها سورة الإيمان ، وسورة البر ؛ فقد صدرت بأقوى الدلائل على وجود الله وكماله ، وصيغت فيها الآيات الحاثة على البر والصدقات بأرفع الأساليب وأقواها تأثيرا على النفوس .

السنة

التصوير واتخاذ المساجد على القبور

فى نظر الاسلام

عن عائشة « أن أمّ حبيبة وأمّ سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوّروا فيه تلك الصور ، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » . رواه البخارى فى كتاب الصلاة .

يتعلق بشرح هذا الحديث أمور : (١) معنى الحديث وحكم التصوير فى الشريعة الاسلامية . (٢) حكم بناء المساجد على القبور ، وهل يصح تكريم الموتى بما لا يقره الدين ؟

(١) معنى هذا الحديث ظاهر ، وهو أن أم حبيبة وأم سلمة من زوجات النبى صلى الله عليه وسلم كانتا من بين المهاجرات الى الحبشة ، فنظرتا كنيسة يقال لها مارية هناك فيها تصاوير ، فذكرتا له صلى الله عليه وسلم هذه الكنيسة وما رأين بها من التماثيل والصور ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن أولئك (بكسر الكاف وفتحها) إذا كان فيهم الرجل الصالح . . . الحديث .

أما حكم التصوير فهو محل خلاف الأئمة المجتهدين ؛ فمنهم من بالغ فى منعه وتحريمه ، ومنهم من تسمح فيه بعض التسامح .وقد يقال للمانعين المتشددين : إن البحوث العلمية النافعة للمجتمع الانسانى قد تتوقف على التصوير فى بعض النواحى كالصور الانسانية المتخذة من الجبس أو الشمع ، فإن تلاميذ الطب الذين لا يجدون الأجسام الانسانية التى يتعلمون منها ومن تشريحها ما يفيد النوع الانسانى ، لا بد لهم من هذه التماثيل فى دراستهم الطبية ومعرفة تركيب أجزاء الجسم واتصال بعضها ببعض . وكذلك الحال فيما إذا اقتضت ضرورة العلم أو الأخلاق تصوير جسم الانسان فى صورة مجسدة كاملة ، فإن من الجمود الذى تأباه الشريعة الاسلامية أن يقال إن التصوير ممتنع فى مثل هذه الأحوال ، وهى تلك الشريعة السمحة المبنية على تحصيل المنافع العامة فى كل قواعدها وأحكامها ؛ فالتصوير علم من العلوم التى لا يصح إهمالها لأن الحاجة الملحة قد تدعو إليه .

وهذا الـكلام حسن لا نزاع فيه ، ولـكنه لم يفت العلماء المتقدمين الذين بحثوا هـذه المسألة طبقا لقواعد الدين الاسلامى .

ولعل أكثر المذاهب الأربعة تسامحا فى هذه المسألة هو مذهب السادة المـالـكية ؛ فقد قالوا : إن النـوع المحرم من التصوير هو أن تكون الصورة المجسدة كاملة الأعضاء الظاهرة التى لا يمكن أن يعيش الانسان أو الحيوان بدونها ، فإن ثقب بطنها أو رأسها ثقبا لا يمكن أن يعيش الانسان أو الحيوان معه كان ذلك النوع جائزا لا شىء فيه .

ومن السهل أن يوفِّق المصورون من المسلمين بين هـذه القاعدة وبين فن التصوير ، إذ من الممكن أن يثقب المصور ثقبا صغيرا فى أعلى الرأس أو فى العظمة التى وراء الأذن ، أو فى أى جـزء من الأجزاء التى لا يعيش الإنسان مع ثقبها ، ثم يغطى ذلك الثقب بالشعر أو غيره بحيث لا يظهر للرائين ولا يقدح فى الفن الذى يحرص المصورون على إتقانه .

على أن المـالـكية قد صرحوا بجواز التصوير فى النـوع الذى تقتضيه الحاجة أو تترتب عليه مصلحة ؛ فقد صرحوا بجواز تصوير الدُّمى (العرائس التى تلعب بها البنات) فى صورة مجسمة لغرض نافع وهو تدريب البنات على تربية الأولاد ، وفى حكم ذلك طبعا تصوير جسم الإنسان كاملا فى صورة مجسمة لتعليم تلاميذ الطب ، أو غير ذلك من الأغراض العلمية التى تنفع المجتمع الانسانى . وبذلك يندفع الإشكال من أساسه .

أما الحنفيـة والحنابلة فإنهم وإن كانوا يوافقون المـالـكية على جواز تصوير الإنسان أو الحيوان فى صورة مجسمة بشرط أن تكون ناقصة نقصا لا تبقى معه الحياة ، كأن تكون بلا رأس أو تكون كالتماثيل النصفية ، إلا أن ظاهر عبارتهم تفيـد أن يكون ذلك النقص محسا ، لأنهم صرحوا بأن تكون الصورة ناقصة عضوا لا يمكن أن يعيش الانسان أو الحيوان بدونه . ومعنى هذا أنه لا بد من نقص عضو من الأعضاء الرئيسية ، فلا يكفى الثقب الصغير . فإن كان مرادهم بالنقص ما يقـول به المـالـكية كانت المسألة محل وفاق . وعلى كل حال فإن المـالـكية قد ذكروا بصريح العبارة أن الصورة الـكاملة المجسدة التى تتعلم بها البنات الصغار تربية الأولاد جائزة كما ذكرنا ، وهذا النص صريح فى أن المسألة تتبع المصلحة العامة ، فـكل ما يترتب عليه مصلحة للنوع الانسانى فإنه جائز عندهم . وكذلك الصور التى لا يترتب عليها مصلحة فقد أجازوها إذا كانت مثقوبة ثقبا لا تتأتى معه الحياة .

أما الصور التى ليس لها جسم كالصور (الفوتوغرافية) المطبوعة على الورق فإنها جائزة عند بعض المالـكية ، ومكروهة فقط عند البعض الآخر . وعلى كل حال فالأمر فيها سهل ؛ ووافقهم الحنفية والحنابلة على ذلك ، وقالوا : إنه يشترط أن لا تكون الصورة معظمة بل جوازها مشروط بامتهانها ، كأن تكون على وسادة أو بساط أو نحو ذلك حتى لا يكون فى ظاهر هذا احترام الوثنية التى حرم من أجلها التصوير .

وظاهر عبارة الشافعية تقتضى عدم جواز التصوير مطلقا ، وإنما الكلام فى التفرج عليها بعد تصويرها ، فقالوا إنه جائز إذا كانت غير مجسدة أو كانت مجسدة ولكنها ناقصة عضوا لا تصح معه الحياة وإلا حرم التفرج عليها . ولكن نقل فى الفتح عن النووى أن أبا حنيفة والشافعى ومالكا اتفقوا على جواز التصوير إذا كانت الصورة غير محترمة ، سواء كان لها ظل أولا ، ثم اعترضه بما لا حاجة الى ذكره هنا .

هذا هو رأى المذاهب الأربعة فى هذا الموضوع . وقد اعترض بعضهم على من حرم التصوير اعتراضا وجيها ، فقال : إن الله تعالى قد امتن على سليمان بقوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل » الآية ؛ وقد نقل الطبرى عن مجاهد أن التماثيل كانت صورا من نحاس ؛ وقال بعضهم : إنها كانت من خشب ؛ وبعضهم يقول : إنها كانت من زجاج . وعلى كل حال فهى صور مجسدة .

وقد أجاب بعضهم بأن ذلك كان جائزا فى شريعة سليمان ، وقد نسخ فى شريعتنا بالأحاديث الصحيحة . ولكن هذا الجواب على ما فيه فانه ليس بشىء ، لأن الأحاديث الواردة فى هذا الباب ظاهرة فى النهى عن الصور المقربة من الوثنية ، كقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أشد الناس عذابا عند الله المصورون » ، ولا يعقل أن يكون المصورون أشد عذابا من المشركين أو القتلة أو الزناة أو غيرهم من المجرمين . ومهما حاول شراح الحديث فى تفسير كلمة أشد فان الحديث لا يفهم فهما صحيحا تستريح اليه النفس إلا إذا كان المراد بالمصورين صناع الأوثان التى تعبد من دون الله ، فهؤلاء مع كفرهم بالله ورسله يصنعون التماثيل التى تعبد من دون الله ، فهم ضالون مضلون يعذبون على ذلك أشد العذاب . ومتى كان معنى هذا الوعيد مقصورا على الوثنيين الذين ينحتون الأوثان فلا تعارض بينه وبين الآية ، لأن التماثيل التى كانت تصنع فى عهد سليمان بأمره كانت لأغراض صحيحة كالأغراض التى أشرنا اليها . ومحال أن تكون أوثانا تعبد فى منزل سليمان كما هو مذكور فى التوراة المحرفة ، فانها قد صرحت بأن سليمان قد ارتد وعبد الأوثان لتأثره بزوجاته الحسان الوثنيات المصريات . أما القرآن الكريم فانه قد برأ سليمان من ذلك ووصفه بأحسن الصفات وأجلها ، وهو رسول كريم معصوم عن الجرائم التى ألصقتها به التوراة .

وأغرب من هذا أن بعضهم يستدل على النسخ بالحديث الذى نشرحه ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لزوجتيه : إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك هم شرار الخلق الخ . فهذا النص صريح فى نسخ ما كان يعمل فى الأمم التى من قبل .

والجواب أن هذا الفهم ليس بشىء مطلقا بل لا ينبغى لعالم أن يفهمه ، لأن هذا الحديث

صريح فى أن الذين كانوا يفعلون ذلك شرار النـاس ، فـكيف يدخل فى هـذا الوعيد عمل الأنبياء ؟ وكيف يكون هذا وحيا من عند الله ينسخ فى شريعتنا ؟ بل الذى يفهم من هـذا الحديث أنهم كانوا يعملون عمل الوثنية فيبنون المساجد على القبور ويصورون فيها التماثيل ، وهؤلاء وإن كانوا يتدينون بدين ، ولـكنهم فى الواقع يعملون عمـل المشركين الوثنيين ، فأولئك هم شرار الناس بلا نزاع . وهذا الحديث غير ناسخ للآية بلا نزاع .

والذى يدفع هـذا الإشكال هو ما ذكره ابن حبان بأن هذا الحـكم خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا عمل بهذا الرأى كان رافعا لـكل إشكال فى هذا الموضوع ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم كانت داره مهبط الوحى ، فـكل ما كان يستعمله الوثنيون يومئذ من صورة أو جرس أو اقتناء كلب كان من المعقول أن يتنزه عنه منزل الرسول ، خصوصا أن الوثنية كانت محببة الى النفوس يومئذ ، فلا بد من مضى زمن حتى تنسى صورها وآثارها . أما فى الجهات التى ليست فيها وثنية ، أولا تتخذ من تلك الصور آلة للعبادة والاحترام ، فانه لا وجه لتحريمها بها . ويدل لذلك ما رواه عاصم عن عكرمة أنه قال : كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصبا ، ولا يرون بأسا بما وطئته الأقدام . فظاهر هذا وغيره يرشدنا الى حكمة تحريم التصوير ، فانه إنما حرم إذا كان يبعث الى الوثنية أو يجر الى عبادة الصور ، وإلا فلا .

(٢) أما حكم بناء المساجد على القبور فهو غير جائز باتفاق . وهـذا الحديث الذى معنا صريح فى النهى الشديد عن بناء المساجد على القبور ، فإن النبى صلى الله عليه وسـلم وصف الذين يتخذون المساجـد على القبور بأنهم شرار الخلق . وقد ورد فى البخارى أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتوفى بخمس : « لا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » . وهذا يدل دلالة صريحة واضحة فى أن النهى عن بناء المساجد على القبور لم يتطرق اليه احتمال نسخ أو غيره ، فهو محكم لا شك فيه ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قاله فى آخر حياته ، ولم ينقل أحد عنه حديثا بعد ذلك فى هـذا الموضوع . فلا نزاع حينئذ فى أن بناء المساجد على القبور غير جائز ، ولذلك قال الحنابلة : إن الصلاة تبطل على القبـور إذا كانت أكثر من اثنين .

وروى مسلم : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها أو عليها » . وهذا يدل على أن الصلاة فى المقبرة لا تجوز على أى حال . ولذا روى عن عمر رضى الله عنه أنه رأى أنسا يصلى الى القبر فناداه : القبر القبر ! فتنحى أنس عن الصلاة اليه .

ومن هذا تعلم أن ما ذكرته الفتاة التى قيل إنها دفنت وأخرجت من قبرها بعد دفنها من أن الشيخ هارون طلب إليها بناء مسجد على قبره ، قول باطل لا تقره الشريعة الإسلامية ، بل كل رواياتها المتعلقة بالشيخ لا ينبغى لعاقل أن يصدقها ولا يعول عليها ، فإن غرضها ظاهر

وهو جلب النذور للشيخ كما هو الحال فى المساجد التى اتخذت أضرحتها لهذا الغرض الفاسد الذى نهت عنه الشريعة الاسلامية نهيا صريحا وحرمته تحريما باتا .

وقد صرح بعض أئمة الحنفية بأن المال الذى يودع على ذمة الصالحين من الموتى بصفة نذر أو غيره مال خبيث ، وأن الذين يتخذون الوسائل لتحصيله بمثل هذه العقيدة الفاسدة إنما يأكلون حراما باتفاق .

ولا ينبغى للمسلمين أن يظلوا على هذه الحالة التى تدل على جهالة بدينهم ، وبما تقتضيه النواميس الكونية والسنن الإلهية من ارتباط الأسباب بمسبباتها . فلا بد للناس من التمسك بالأسباب التى أمرهم الله بها فى معاشهم ومعادهم ، ولا بد لهم إذا أرادوا نجاحها من الاعتماد عليه وحده . أما الصالحون من الموتى أو غيرهم فان إكرامهم إنما هو بالاقتداء بهم فى التمسك بالدين الصحيح ، لا بمثل هذه الأباطيل التى يخترعها الدجالون الكذبة ، وسيلقون جزاءهم عند ربهم مرتين .

هذا وقد سألنى بعضهم عن جواز إعادة الحياة الى الميت وبعثه فى الدنيا .

والجواب : أن ذلك جائز ، بل وقع فعلا مع العزير . ولكن كان هذا لأغراض عظيمة القيمة ، منها التدليل للعزير على كيفية إحياء الميت الذى كان يستعظمه ، ومنها إماتة العزير زمنا طويلا ثم بعثه بعد ذلك لمحاربة الوثنية بين قومه ، وإعادة أحكام التوراة التى أضاعوها بوثنيتهم ، الى غير ذلك من الحكم التى لها آثار عظيمة بين الناس . أما إماتة شخص عادى لا قيمة له ثم إحياؤه بعد ذلك حقيقة ليخبر الناس بخبر كاذب يضر الدين الاسلامى ، فذلك محال بلا كلام .

عبد الرحمن الجزيرى

حب البنات

دخل عمرو بن العاص على معاوية وبين يديه بنته عائشة ، فقال عمرو : من هذه ؟

فقال معاوية : هذه تفاحة القلب .

فقال عمرو : انبذها عنك ، فوالله إنهن ليلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويورثن الضغائن .

فقال معاوية : لا تقل ذاك ياعمرو ، فوالله ما مرَّض المرضى ، ولا ندب الموتى ، ولا أعان على الأحزان مثلهن ، ورب ابن أخت قد نفع خاله .

وقال المعلى الطائى :

لولا بُنَيات كزُغْب القطا ... خططن من بعض الى بعض

لكان لى مضطرب واسع ... فى الأرض ذات الطول والعرض

التصوف والمتصوفون

— ٤ —

الشبلى:

هو أبو بكر بن جحدر الشبلى ، قد ولد فى بغداد فى سنة ٢٤٧ هـ ، ولما شب بدأ حياته العملية بشغل منصب سياسى هام ، إذ كان واليا على مدينة « داماواند » ، ثم اتصل بأحد أصدقاء الجنيد من الصوفية فترك الحياة العامة وتنسك ، وكان مالكى المذهب ، وقد تبع آراء المحاسبى فى التوحيد ، وكان شاعرا شهيرا فى عصره .

اعتنق الشبلى الحياة التنسكية بتحمس دفع الجنيد الى أن يقول عنه ما يلى : « إن كل بلد يحمل فوق رأسه تاجا ، وإن تاج بلادنا هو الشبلى » .

كان الشبلى يدين بنفس الآراء التى كان الحلاج يدين بها ، ولكنه حين رأى الحلاج قد قدم الى المحاكمة انزعج وأسرع الى جحود مذهب وحدة الوجود الذى كان الصوفية يعبرون عنه بـ « عين الجمع » .

غير أن هذا الجحود لم يكن كافيا فى طمأنته ، لأن الروايات السرية عن اتهامه وعن عدم كفاية تبرئه من آرائه قد تعددت ، فلم ير منجاة لحياته إلا فى ادعائه الجنون فتظاهر به . وأكثر من ذلك أنه اندمج فى وسط الجماهير يوم تعذيب الحلاج واشترك فى سبه ، ولكنه لم يلبث أن ندم على هذه الفعلة التى لم تكن تليق بالعامة فضلا عن الخاصة والمتنسكين .

ظل بعد ذلك يزاول حياة غريبة متباينة الأطوار ، فاذا رأى من يخشى عاقبة الحديث معه تظاهر بالخبل ، وإذا اختلى بتلاميذه وأصدقائه أطلعهم على حقيقة آرائه ، وبشر أمامهم بمذهبه .

ومما كان يقوله أمام أولئك الأنصار العبارة التالية : « أنا والحلاج لم يكن لنا إلا رأى واحد ، ولكن جنونى المزعوم نجانى وبصيرته أضاعته ، هو أظهر رأيه ، وأنا أخفيته » .

وقد روى عنه الامام الغزالى فى أكثر من موضع أنه لم يكن ينطق بشهادة أن لا إله إلا الله ، بل كان يكرر دائما : الله الله ، فلما سئل عن السبب فى هذا أجاب مخاطبا الإله قائلا : « إن المنزل الذى تقطنه ليس فى حاجة الى مصباح » . ومما أثر عنه أيضا ارتيابه فى كل حقيقة ماعدا ذاته ، كما فعل الحلاج من قبل .

ومن هذا كله يتبين أن الشبلى كان يدين بكل آراء الحلاج ، ولكن حرصه على الحياة أنقذه من ذلك المصير المرعب الذى انتهى اليه الحلاج على ما سيجىء . وأخيرا توفى هذا الصوفى فى سنة ٣٤٤ هـ .

الحلاج — حياته :

ولد الحسين بن منصور الحلاج فى بيضا حوالى سنة ٢٤٤ هـ ، ولما شب تلقى العلم فى تستر على سهل بن عبد الله التسترى . ولما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما ارتحل الى البصرة ثم الى بغداد حيث تتلمذ على عمرو بن عثمان المكى مدة ثمانية أشهر ، ثم تزوج أم الحسين ابنة أبى يعقوب الأقطع ، فتسبب هذا الزواج فى غضب أستاذه عليه ، فافترقا ، وارتحل الحلاج الى مكة فأدى فريضة الحج ومكث فيها سنة ، ثم عاد الى بغداد فالتقى بالجنيد وكان يعرفه من قبل . وفى أحد الأيام وجه اليه سؤالا فلم يجبه الجنيد عليه احتقارا له ، لأنه كان يرى أنه رجل أطماع ، فانجرحت كرامة الحلاج وغادر بغداد الى تستر فظل فيها سنتين قاسى أثناءهما عناء شديدا ، لأن صوفية هذه المدينة كانوا يهاجمونه فى عنف ؛ ولما بلغ الغضب من نفسه أقصاه ، نزع ملابس الصوفية وألقى بها جانبا ، ثم ارتحل الى خراسان وسجستان فأقام متنقلا بين هاتين المدينتين خمسة أعوام ، ثم ارتحل الى مكة فأدى الحج للمرة الثانية ، ثم عاد الى بغداد ، ثم ارتحل منها الى خراسان ، فالى الهند ، فالى الصين . وفى هذه المدن النائية قد عرفت قيمته ، ففى الهند كانوا يدعونه بالشفيع ، وفى الصين كانوا يسمونه المطعم ، وفى خوزستان كانوا يلقبونه بحلاج الأسرار ، وفى بغداد بالغيبوبى ، وفى البصرة بالمنبهر .

وبعد ذلك عاد الى مكة فحج للمرة الثالثة وأقام بها سنتين ، ثم ألقى عصا التسيار أخيرا فى بغداد حيث بنى فيها منزلا وأخذ يلقى دروسا عامة على المتعلمين يبسط فيها آراءه الصوفية ، فلم يلبث أن صار موضع جدل ونزاع بين سامعيه ، فقرر بعضهم أنه ساحر ، وجزم البعض الآخر بأنه مجنون ، وأكد فريق ثالث أنه يأتى بكرامات .

وأخيرا علا صيته ونسب اليه أصحابه عددا من الكرامات ، فأثار ذلك عليه حقد الفقهاء ، فأبلغوا عنه الخليفة ، واستشهدوا على كفره بمستند موقع عليه من عدد كبير من القضاة والفقهاء ، فأمر الخليفة بالقبض عليه فى « سوز » فى سنة ٣٠١ هـ وألقى به فى السجن ثمانية أعوام . وفى نهاية هذه المدة جدد الفقهاء الشكوى فى حماسة أعظم من الأولى وطالبوا بقتله ، فأجابهم الخليفة الى سؤلهم وأمر بتسليمه الى الجلاد وأوصى أن يعذب قبل قتله بضربه وتقطيع أطرافه . وقد سرد فريد الدين الفارسى قصة تعذيبه المؤثرة التى يحمر لها وجه التاريخ خجلا ، فقال :

« أصعد الجلاد الحلاج فوق منصة عالية تحوط به الجماهير الغفيرة من عامة الشعب ملقية عليه الأحجار والأوحال ، وهو لا ينفك عن تكرير تلك الكلمة التى كانت السبب فى قتله ، وهى : « أنا الحق أنا الحق » ، ولما طلب اليه أن ينطق بالشهادة صاح مخاطبا الإله قائلا : « إن وجودا أنت فيه غير محتاج الى مشعل ينيره » .

ونحن نرى أن هذه العبارة هى نفسها التى عبر بها الشبلى ، ومعناها أن وجود الله واضح

وليس محتاجا الى أن يؤيده الحلاج بشهادته . ولما سئل ما هى الصوفية ؟ أجاب بقوله : « هى مالا تستطيعون أن تفهموه » . فأخذ الجلاد يضربه بالسوط وهو يبتسم ، فلما فرغ من ضربه قطع يديه ورجليه فقابل ذلك بالابتسام ، وجعل يلطخ وجهه بدم ذراعيه المتدفق ، ولا يدرى أحد ما حكمة ذلك عنده ، ثم فقأ الجلاد عينيه . وفى نفس اللحظة التى هم الجلاد فيها بقطع لسانه كان هذا اللسان ينطق بالاستغفار لذلك الجلاد ولمن اشتركوا معه فى تعذيبه . وبعد موته أحرقوا جثته وألقوها فى نهر دجلة ، وقيل إن رأسه أرسل الى خراسان .

هذه هى رواية فريد الدين ، وقد روى كثيرون غيره هذه الحادثة على صور تختلف قليلا عن هذه الصورة . فمثلا أنبأنا ابن الحلاج نفسه أن والده وهو سائر الى موضع الصلب كان يرقص فى أغلاله فرحا ، وأنه سمعه بعد قطع يديه ورجليه يناجى ربه فيقول : « يا إلهى إنى سآوى الى مقر رغباتى ، وسأشاهد عجائبك » !

وقد حدثنا كذلك أن أبا بكر الشبلى قدم الى والده أثناء التعذيب وأخذ عليه أنه باح بسر الإله ، ففعل به ما فعل . وأنبأنا كذلك أنه ضرب قبل قطع يديه ورجليه خمسمائة سوط ، وأن تلميذه ابراهيم بن فاتك قد رأى بعد موت الحلاج بثلاثة أيام الإله فى المنام فسأله قائلا : مولاى ماذا فعل الحسين بن منصور حتى يلقى هذا العذاب ؟ فأجابه الإله قائلا : إننى أوحيت إليه الحقيقة ، ولكنه دعا اليها الناس من نفسه فأنزلت عليه العقاب الذى رأيته .

وقد حدثنا أحد كتاب الحكومة الرسميين أن رئيس الشرطة قد أحضر الحلاج أمام باب الطاق فى اليوم الرابع والعشرين من شهر ذى القعدة سنة ٣٠٩ هـ وأمر بضربه ألف سوط ، فضرب ستمائة دون أن ينطق بكلمة ، ثم قال لضاربه بعد ذلك : دعنى أحدثك فان لدى نبأ هو خير للخليفة من مدينة القسطنطينية ، فقال له : إنى قد أنبئت أنك ستعدنى بأكثر من هذا ، ولكن لا سبيل الى الكف عن ضربك ، وأخذ يضربه حتى أتم الألف ، ثم قطع الجلاد يديه ورجليه ثم رأسه .

هـذا هو قليل من كثير من الروايات المتباينة التى أوردها المؤرخون فى موت الحلاج ومزجوا ما فيها من حقائق بأضعافها من الخرافات .

مؤلفاته :

كتب الحلاج كثيرا من المؤلفات ، ولكنها فقدت كلها تقريبا ولم يبق منها إلا شذرات متناثرة وفقرات متفرقة . وقد ذكر لنا ابن النديم قائمة بستة وأربعين كتابا من هذه الكتب تدل عناوين أكثرها على أهميتها فى الناحية الصوفية من الحركة العقلية الإسلامية . وهاك أهم هذه الكتب :

(١) « طس الأزل والالتباس » وهو الآن موجود تحت الفصل السادس من كتاب « الطواسين » . (٢) « الجوهر الأكبر والشجرة الزيتونة المباركة النورية » . (٣) « الأحرف المحدثة والأزلية والأسماء الكلية » . (٤) « الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية » . (٥) « حمل النور والحياة والروح » . (٦) « تفسير قل هو الله أحد » . (٧) « الأبد والمأبود » . (٨) « قراءة القرآن والفرقان » . (٩) « خلق الإنسان والبيان » . (١٠) « كيد الشيطان وأمر السلطان » . (١١) « الأحوال والفروع » . (١٢) « سر العالم والمبعوث » وهذا الكتاب موجود . (١٣) « العدل والتوحد » . (١٤) السياسة والخلفاء والأمراء » . (١٥) « علم البقاء والفناء » وقد بقى قسم منه . (١٦) « شخص الظلمات » . (١٧) « نور النور » . (١٨) « المتجليات » . (١٩) « الهيا كل والعالم والعالم » وهو موجود . (٢٠) « مدح النبي والمثل الأعلى » وهو موجود تحت الفصل الأول من الطواسين . (٢١) « غريب الفصيح » . (٢٢) « النقطة وبدء الخلق » وقد بقيت منه شذرات . (٢٣) « القيامة والقيامات » . (٢٤) « الكبر والعظمة » . (٢٥) « الصلاة والصلوات » . (٢٦) « خزائن الخيرات الألف المقطوع والألف المألوف » . (٢٧) « مواجد العارفين » . (٢٨) « الصدق والاخلاص » . (٢٩) « الأمثال والأبواب » وهو موجود تحت الفصلين الرابع والخامس من الطواسين . (٣٠) « اليقين » . (٣١) « التوحيد » وهو موجود . (٣٢) « النجم إذا هوى » . (٣٣) « الذاريات ذروا » . (٣٤) « الذى أنزل عليك القرآن » ولعله هو الفصل الثانى من الطواسين . (٣٥) « الدرة » وهو موجود . (٣٦) « السياسة » . (٣٧) « هو هو » . (٣٨) « كيف كان وكيف يكون » . ولا يوجد منه إلا شذرات فى الطواسين . (٣٩) « الوجود الأول » . (٤٠) « الوجود الثانى » . (٤١) « الكبريت الأحمر » . (٤٢) « الكيفية والحقيقة » . (٤٣) « الكيفية والمجاز » ؟

الدكتور محمد غلاب
أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

رذيلة الوشاية

قال رجل لمطيع بن إياس : جئتك خاطبا مودتك . فقال له : قد زوجتك على شرط أن تجعل صداقها أن لا تسمع فىَّ مقالة الناس .

وقال محمد بن بشار :

عاتب أخاك إذا هفا   واعطف بودك واستمده
وإذا أتاك بغيبة   واش فقل لم تعتمده

حياة رجالات الإسلام

أبو بكر الصديق

— ٦ —

مضى أبو بكر رضى الله عنه فى هجرته الى الله تعالى رفيقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرتاد له المنازل إذا حل ، ويَخبُر له خبر الطريق إذا ارتحل ، ويسهر عليه إذا نام ، ويخدُمه إذا استيقظ ، ويرد السائلين عنه بألطف جواب ، حتى يأمن عليه الطلب ، وينجو وإياه من الدرك ، فرارا بدين الله من وجه البغى والعدوان . روى البخارى فى الصحيح عن البراء بن عازب قال : « اشترى أبو بكر رضى الله عنه من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر لعازب : مر البراء فليحمل الىّ رحلى ، فقال عازب : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم ، قال أبو بكر : أخذ علينا الرصد فخرجنا ليلا ، فأحيينا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ، فرميت ببصرى ، هل أرى من ظل فآوى اليه ، فاذا صخرة أتيتها ، فنظرت بقية ظل لها فسوّيته ، ثم فرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة معى ، ثم قلت له : اضطجع يا نبى الله ، فاضطجع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلقت أنظر ما حولى ، هل أرى من الطلب أحدا ؟ فاذا أنا براع قد أقبل فى غنيمة يريد من الصخرة مثل الذى أردنا ، فسألته : لمن أنت يا غلام ؟ قال : أنا لرجل من قريش سماه فعرفته ، فقلت : هل فى غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قلت : هل أنت حالب ؟ قال : نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فحلب لى كُثبة من لبن ، وقد جعلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إداوة من ماء عليها خرقة ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فوافقته قد استيقظ ، فقلت له : اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيتُ ، ثم ارتحلنا والطلب فى أثرنا » .

وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا عروفا فى العرب ، فاذا مر على قبيل منهم وهو رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سئل عنه : من هذا الرجل الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل ، فيحسب الحاسب أن أبا بكر إنما يعنى الطريق ، وهو رضى الله عنه إنما يعنى سبيل الخير ؛ وهذا من لطيف المعاريض التى يخرج بها المتكلم من مضائق السؤال دون أن يشعر سائله باعراض عن إجابته ، أو يطلع على سر من أسرار نفسه ؛ وهو مذهب من أدق مذاهب الأسلوب العربى وألطفه .

وفى حـديث أنس بن مالك « أنه صلى الله عليه وسلم أقبل المدينـة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يعرف ، والنبي صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف » . قال بعض العلماء : وإنما كان أبو بكر معروفا لأهل المدينـة لأنه كان يمر عليهم فى سفره للتجارة . والمعول عليـه فى التاريخ أن النبي صلى الله عليـه وسلم كان أسن من أبى بكر رضى الله عنـه ، غير أن الصديق كان قد شاب ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يشب . وعند ابن سعد أن النبي صلى الله عليـه وسلم قال لأبى بكر : ألـهِ عنى الناس ، فـكان أبو بكر إذا سئل : من أنت ؟ قال : باغى حاجة ، فاذا قيل : من هذا معك ؟ قال : هذا يهدينى السبيل . وفى البخارى أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بـكر لما وصلا الى المدينة ونزلا فى بنى عمرو بن عوف « قام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليـه بردائه ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك » .

وفى مجموع هذه الأخبار الصادقة مايزيدنا يقينا بمكانة الصديق فى الإسلام وقبله ، ويزيدنا إيمانا بما حباه الله به من المزايا السامية التى جعلت منه رجل الاسلام الأول فى كل موطن من مواطن البطولة والتفانى فى سبيل الخير والحق .

باستقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة المنورة ، واتخاذها موطن الدعوة ، اتجه المسلمون الى حياة الجهاد والقوة ليفتحوا أمام الحق الطريق الى قلب الإنسانية الظمأى الى الإيمان بما يبعث اليها الهـداية والرشاد ، وكان أعظم مظاهر ذلك وأحزمها غزوة النصر « بدر الـكبرى » ، خرج اليها النبي صلى الله عليه وسلم فيمن نشط من أصحابه وعن يمينه أبو بكر الصديق ، وعن يساره عمر الفاروق ، وأمامه السعدان سيدا الأنصار ، يقدمهم الحق ، ويحدو بهم الإيمان ، وتجمعت لها قريش بخيلها ورجلها ، تحادّ الله ورسوله بباطلها وأبطالها ، وأقيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش من جريد ، فدخله ومعه أبو بكر الصديق ، وقام سعد ابن معاذ على باب العريش متوشحا سيفه ، والتقى الجمعان ، وتقـدم فتيان قريش فى صلف العنجهية يطلبون أقرانهم من المسلمين للمبارزة ؛ وهنا موقف لأبى بكر الصديق رضى الله عنه هو آية الآيات فى باب البطولة والتضحية بالنفس ليكون مثلا مضروبا لـكل من تبطن عقيدة الحق وحيل بينه وبين حرية الدعوة اليها :

ذلك أنه كان فيمن خرج الى المبارزة ابن لأبى بكر الصديق ، فما رآه أبو بكر وعرفه حتى ناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا أن يأذن له فى الخروج اليه ، فقال : يارسول الله دعنى أكون أول الرعيل . ولـكن أبا بكر هو القائد الثانى لجيش الإسلام ، يحتاج المسلمون الى رأيه وعقله المدبر ، فـلم يأذن له القائد الأعظم ، وأشعره بالحاجة اليه ، فقال له : « متعنا

بنفسك يا أبا بكر ، أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى » . قال جمهرة من المفسرين : وفى هذه الحادثة نزل قول الله تعالى : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » .

حسْب عظمة الصديق رضى الله عنه أن يسجل فى سجل مفاخرها هـذه المنقبة البارعة التى تدل على أن منزلته من نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعدلها منزلة أحد فى الدنيا ، وفى قوله له : متعنا بنفسك يا أبا بكر ما يومى الى مقام الاختصاص الذى تفرد به الصـديق ، وليس بعد سمع رسول الله و بصره منزلة فى العزة والمحبة ؛ وفى مسارعة الصديق الى مبارزة ابنه وفلذة كبده واستئذانه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون فى الرعيل الأول ما يكشف عن حقيقة الإيمان ورسوخ العقيد التى تسمو بصاحبها الى حيث تسنم أبو بكر مكانه فى ذروة الإسلام .

تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسـلم وهو فى العريش معه الصديق كثرة عدد المشركين ووفرة عُددهم ، فقام يناشد ربه ماوعده من النصر ، واستشعر قلبه الشريف الشفقـة على أصحابه وهو بالمؤمنين رءوف رحيم ، فألح فى الدعاء حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأخذ أبو بكر الرداء وألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يانبى الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فانه سينجز لك ما وعدك . قال الخطابى : لا يتوهم أحد أن أبا بكر كان أو ثق بربه من النبى صلى الله عليه وسـلم فى تلك الحالة ، بل الحامل للنبى صلى الله عليه وسـلم على ذلك شفقته على أصحابه ، وتقوية قلوبهم ، فبالغ فى التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عنـد ذلك ، لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة ، فلما قال له أبو بكر ما قال ، كف عن ذلك وعـلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر فى نفسه من القوة والطمأنينة ، ، فلهذا عقبه بقوله : سيهزم الجمع ؛ وكان النبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الحالة فى مقام الخوف ، وهو أكمل حالات الصلاة .

انـكشفت المعركة فإذا لواء النصر بيد المسلمين ، وإذا الله تعالى قد أنجز لرسوله ما وعده، فقتل كثير من صناديد قريش ورءوس الـكفر ، وعاد المؤمنون الى المدينة وفى أيمانهم الغنائم وفى شمائلهم أزمة الأسرى يقودنهم بأنوف ذليلة راغمة ، وعقـد مجلس الشورى برياسة سيد العالمين ، وعن يمينه الصديق الأعظم وزيره الاول ، وعن يساره الفاروق ، وفتى الفتيان على بن أبى طـالب ، يحف بهم الغر الميامين من المهاجرين والأنصار ليضعوا للانسانية أول مادة فى دستور الديمقراطية الفاضلة ، وليؤسسوا صرح الحرية على دعائم الشورى ، تحقيقا لقـول الله تعالى : « وأمرهم شورى بينهم » ، وعملا بقوله تعالى : « وشاورهم فى الأمر » .

هـؤلاء رءوس الشرك فى أيدينا أظفرنا الله بهم ، فماذا نصنع فيهم ؟ وهل غير القتل

يستحقون ؟ لا ، بل تسعر لهم نار فى واد كثير الحطب فيلقون فيه ؟ إنهم أئمة الكفر الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أشد الإيذاء ، وصدوا الناس عن سبيل الله ، وأخرجوا المؤمنين من ديارهم وأموالهم . إن الأمر جد خطير ، فهذه جرثومة قريش فى غطارفتها الذين كذبوا رسول الله وأخرجوه وقاتلوه ، إن هلكوا بأيدينا فقد شفينا صدورنا منهم ، ولكن أليس من الجائز أن يكون فى هذه الأصلاب من ادخر لانقاذ الإنسانية حين تضطرب بها أمواج الحياة ؟ أو ليس فى هذه الأنفس نفس يجوز أن يهب عليها نسيم الرحمة الإلهية فإذا هى أهدى سبيلا ، وأقوم قيلا ، وأرشد رشدا ؟ كل ذلك جائز أن يكون ، فليسمع القائد الأعظم صلوات الله عليه من وزرائه آراءهم وله من بعد ذلك الرأى الأعلى . وهنا تتجلى خصيصة الإسلام فى مرآة الفطرة الصديقية والفاروقية ، والإسلام دين يجمع بين عنصرى العقاب الحازم والعفو الرحيم ، فيأخذ الصديق الأعظم بجانب الرحمة المطلقة ، ويأخذ الفاروق بجانب القسوة الزاجرة ، وينطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكم ، فيحقق الغيب حكمة الصديق ، ويأتى التشريع على وفق سياسة الفاروق ، وسنبين ذلك إن شاء الله ؟

صادق ابراهيم عرجون

أدب الحديث والاستماع

قال حكيم : رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم ، والاصغاء للمتكلم .

وذكر الشعبي قوما فقال : ما رأيت مثلهم أشد تناوبا فى مجلس ، ولا أحسن فهما من محدث .

ووصف الشعبي عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى فقال : ما علمته إلا آخذا بحسن الحديث إذا حدَّث ، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر المؤنة إذا خالف ، تاركا لمجاوبة اللئيم ، ومماراة السفيه ، ومنازعة اللجوج .

وقال حكيم لابنه : يا بنى تعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الحديث ، وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع ، منك على أن تقول ، فأحذر أن تسرع فى القول فيما يجب عنه الرجوع بالفعل ، حتى يعلم الناس أنك على فعل ما لم تقل ، أقرب منك الى قول ما لم تفعل .

وقال آخر : من حسن الأدب أن لا تغالب أحداً على كلامه ، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، وإذا حدَّث بحديث فلا تنازعه إياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تُرِه أنك تعلمه ، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك ، فحسن مخرج ذلك عليه ، ولا تظهر الظفر به ، وتعلم حسن الاستماع ، كما تتعلم حسن الكلام .

أقول : إذا عمل الناس بهذا الأدب بطل كثير من الفضول واللجاج والتشاد ، وحل محله ما يجب أن يكون بين العقلاء من الوقار والنبل والتحاب .

ابن حزم الاندلسى

حياته وفلسفته

هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ، ينتهى نسبه الى عبد شمس الأموى ، وأصل آبائه من إقليم الرواية من كورة نبلة غرب الأندلس . وكان مولده بقرطبة آخر يوم من شهر رمضان سنة ٣٨٣ ﻫ وكان أبوه أبو عمرو أحمد بن سعيد أحد وزراء المنصور بن أبي عامر .

كان ابن حزم وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله ، ثم المقتدر بالله ، ثم ترك الوزارة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن ، وأوغل فى الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس .

مكانة ابن حزم فى التأليف :

قام ابن حزم بتأليف رسالة فى المفاضلة بين الصحابة ، عرض فيها لمعنى الفضل ووجوه المفاضلة ، وأبدى رأيه فى فضل أزواج الرسول ، ثم وازن بين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وبيّن الأسباب التى دعت الى ترتيبهم فى الفضل ، مستندا الى الأسانيد القوية التى قام عليها هذا الترتيب ؛ وأجمل ما يعنينا فى هذه الرسالة أن ابن حزم التزم فيها ترتيب أفكاره بطريقة منطقية محكمة ، فاستعرض فى القسم الأول منها آراء المخالفين لرأيه فى المفاضلة بين الصحابة ، وشرع فى تمهيد الاحتجاج لرأيه والرد على جميع الآراء المختلفة ، فكان موفقا فى الرد مبرزا فى الاحتجاج والتفوق العقلى عليهم . وفى القسم الثانى سرد حججه فى فضل أزواج الرسول مستمدة من الكتاب والسنة وصحيح الخبر ، واقفا عند النصوص ممعنا فيها تدقيقا وتحليلا واستنباطا ، وناقش نصوصها مناقشة فنية من جهة الحديث والأصول . وهنا يبدو لك تمكنه من الدين وعلومه ؛ ثم ذكر جميع الاعتراضات والشبه حتى إذا دفع جميع الاعتراضات ، ذكر الرأى فى تفضيل عائشة وخديجة على سائر أمهات المؤمنين . وفى القسم الثالث عين لنا أفضل الصحابة بعد أمهات المؤمنين مهتما بصورة خاصة بجدال الشيعة وآرائهم . وخاتمة الرسالة فى ميزة الإسلام وتسويته بين الناس كافة ، وإهداره تقديم القرابة ، واعتداده فى القيمة بالعمل لا بأى شىء آخر .

أما كتابه « طوق الحمامة » المطبوع فى ليدن سنة ١٩١٤ ، فقد أحدث فكرة جديدة عن فن الحب ، حتى لقد تناولته أقلام الكتاب فى أوروبا وأمريكا بالنقد والتحليل . وكان من العجيب حقا أن يكتشف الباحثون أنه كان فى أواخر القرن الرابع الهجرى كاتب عربى

يتناول حديث الحب الوجدانى البرىء فى أسلوب جذاب ، وله دراية فى فهم أسرار النفس والقلب .

ما كاد هذا الكتاب يظهر على يد الأستاذ بيتروف صاحب الفضل فى الكشف عنه ، وقد كاد أن يندثر ، حتى صدره بمقدمة طويلة بالفرنسية عام ١٩١٤ . ومن هنا أقبل على ترجمته والتعليق عليه جمهرة من كبار المستشرقين أمثال دوزى وبروكلمان ومرسيه وغيرهم .

أما ابن حزم فقد رجع فى كتابه العاطفى الى ذكرياته فى عنفوان الشباب ، ونقب على الدفين من أهوائه ورغباته ، وحلل التيارات الفكرية والوجدانية التى كانت تضطرب بين جنبيه ، وعالج الأزمة النفسية التى استولت عليه . ثم ما لبث أن تحول ابن حزم فى بابى قبح المعصية وفضل التعفف ، الى واعظ دينى يدعو الى محاربة الشهوات ، وإحلال الفضيلة مكانها ، حتى يتغلب الجانب الخلقى فى النفس على الجانب الدنىء منها ، كما يتغذى الجسم بالغذاء المناسب لتقويم كيانه ؛ ومن هنا جاء كتابه عن الحب وجدانيا وأخلاقيا معا ، وكان خير كتاب أخرج للناس فى هذا الباب .

الفلسفة عند ابن حزم :

بعد موت الخليفة الحكم سنة ٣٦٦ هـ الذى عنى بعلوم الأوائل وعمل على انتشارها والإقبال عليها ، أمر المنصور بن أبى عامر بإحراق جميع الكتب المؤلفة فى العلوم القديمة ، وبخاصة المنطق وعلم النجوم ؛ وكان المنصور يعتمد فى تأييد حكمه على رجال الدين ، حتى إذا ما ظهر ابن حزم كان من المؤيدين لعلم المنطق على الرغم من تحمسه الشديد لنصرة السنة .

ولدراسة المنطق عند ابن حزم قيمة خاصة ، فنراه يقول (الملل والنحل جـ ٢ ص ٩٥) : إن الكتب التى جمعها أرسطو فى قواعد المنطق كلها كتب سالمة مفيدة ، بها يتعرف كيف يتوصل الى الاستنباط الصحيح ، وكيف تؤخذ الألفاظ على مقتضاها ، وكيف يعرف الخاص من العام ، والمجمل من المفصل ، وبناء الألفاظ بعضها على بعض ، وغير ذلك مما لا غناء للفقيه المجتهد لنفسه ولأهل ملته عنه .

وقد ذكر أحد معاصريه ونعنى به القاضى أبا القاسم صاعد بن احمد قاضى طليطلة المتوفى سنة ٤٦٢ هـ ، قال صاعد :

« عنى ابن حزم بعلم المنطق وألف فيه كتابا سماه (التقريب لحدود المنطق) ، بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف ، واستعمل فيه أمثلة فقهية وجوامع شرعية ، وخالف أرسطو فى بعض أصول هذا العلم » .

ومن هنا نستنتج أن اشتغال ابن حزم بالمنطق كان من أجل خدمة نظرياته الدينية والفلسفية .

وكان يصرح أن الفلسفة الحقيقية غايتها إصلاح النفس ، وتلك الغاية بعينها هى غاية الشريعة ، ولا تعارض بين الاثنين (الملل والنحل جـ ١) .

ولابن حزم مصنفات كثيرة العدد ، شرعية المقصد ، ومعظمها فى أصول الفقه وفروعه ، وقد روى عنه الفضل المكنى أبا رافع أن تآليفه فى الفقه والحديث والأصول والملل والنحل والأدب تبلغ نحو أربعمائة مجلد ، تشتمل على ثمانين ألف ورقة . وقال ياقوت فى ذلك : هذا شىء ما علمناه لأحد ممن كان فى دولة الاسلام قبله إلا لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .

ويعتبر كتابه الملل والأهواء والنحل من أهم المراجع لفروع الفلسفة ، ومذاهب المتكلمين ؛ فهو يعطينا فكرة قوية وضاءة عن الفرق الدينية التى ظهرت فى المملكة الاسلامية كالخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والقدرية وغيرهم ، كما يبحث عن اختلاف الديانات كاليهودية والمسيحية ومدى انتشارها ، وأثر هذه الأديان فى نفوس معتنقيها . ثم يخرج من هذا البحث الى نتيجة أثر اليهودية فى الثقافة الاسلامية ، وتسرب هذه الثقافة الى المسلمين ، معتمدا فى بحثه على التاريخ والرواية الصحيحة .

شخصية ابن حزم :

كان ابن حزم فيلسوفا ومؤرخا وعالما ، وكان له أثره العظيم فى تاريخ بلاده . ومؤلفاته مرآة جلية تبدو من خلالها مواهبه الفنية على أكملها ؛ وهو فوق ذلك مرب ذو بصيرة وقادة ، قضى حياته ثابت النفس ، مصيب الفكر ، قوى العقل .

ومما نكب به فى حياته حرق مؤلفاته وتمزيقها علانية ، من قبل أعدائه . وفى ذلك يقول :

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذى ... تضمنه القرطاس بل هو فى صدرى

يسير معى حيث استقلت ركائبى ... وينزل إن أنزل ويدفن فى قبرى

وقال يخاطب حساده :

هنالك تدرى أن للعبد قصة ... وأن كساد العلم آفته القرب

وأن مكانا ضاق عنى لضيق ... على أنه فيح مهامهه سهب

وأن رجالا ضيعونى لضيع ... وأن زمانا لم أنل خصبه جدب

إلا أن الأحداث الشديدة التى تواترت على الفيلسوف ابن حزم لم تكن لتغير من تراثه العلمى ، أو تفل من حدة ذهنه الوثاب . فإن أهم ما كتبه فى مؤلفه الملل والنحل من أبحاث هو تاريخ الأديان وفلسفة التاريخ . فهو إذا تناول مسألة من المسائل الدينية أو التاريخية لم ينظر إليها نظرة تحليلية تتناول التفاصيل ، وتعنى بما هو جزئى ذو قوام مادى ، وإنما ينظر إليها نظرة تركيبية عامة لا تفيها التفاصيل إلا من حيث إنها مظاهر ومعارض لتيارات روحية كبرى ، ودوافع باطنة قوية تحكم التطور التاريخى وتسوده وتوجهه .

ولا عجب فأن ابن حزم أعظم من بحث فى المذاهب الاسلامية وفى علم الكلام والحديث ، ولعله كان من أقدر الباحثين الذين استطاعوا أن ينفذوا الى طبيعة الحياة الدينية فى الاسلام ، وأن يحللوا اتجاهاتها ويكشفوا عن جوهرها ، والعوامل المؤثرة فيها .

جمع الفيلسوف ابن حزم الى ناحية الخلق المتين ، شخصية المفكر الحر فى عقيدته ، معتمدا على بصيرة حادة نافذة الى باطن الأشياء وسرها الكامن ، وعلى وجدان مرهف يستطيع أن يكون هو وجوهر الشىء الذى يحاول إدراكه شيئا واحدا ، بأن يكون بينه وبين هذا الشىء نوع من المشاركة الوجدانية والاتصال الحى النابض .

ولكنه لم يكن يكتفى بهذا الضرب من الاتصال ، بل كان يربط المسألة الواحدة بجميع المسائل الأخرى المرتبطة بها ، ناظما الكل فى سلك تاريخى واحد ، ناظرا إليه كوحدة لها صفاتها الذاتية ، معتبرا ذلك كنسيج حى متصل الأجزاء .

بهذه القدرة العلمية استطاع ابن حزم أن يجعل منهج بحث الأديان الذى أودعه كتابه القيم (الملل والأهواء والنحل) خصبا فى يديه ، ومؤديا الى أخصب النتائج وأعمقها . ويكفى أن يكون كتاب الملل والنحل منبعا حيويا يستملى منه المؤرخ وطالب المثل الأعلى ما للفيلسوف ابن حزم من شخصية خدمت الدين الإسلامى والتاريخ العام الى يومنا هذا ؟

عبد الحميد سامى بيومى

رذيلة النميمة

أحسن ما رأيناه من الزجر العملى عن النميمة ما روى عن الاسكندر المقدونى ، فقد قيل : إنه دخل عليه رجل فوشى برجل آخر راجيا بذلك أن يوقع به الاسكندر .

فقال له الاسكندر : أتحب أن نقبل منه عليك ، ومنك عليه ؟

فقال الرجل : لا ، وانصرف .

وقال ذو الرياستين : قبول النميمة شر من النميمة ، لأن النميمة دلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دل على شىء كمن قبله وأجازه .

وذكر الوشاة عند المأمون فقال : لو لم يكن فى عيبهم إلا أنهم أصدق ما يكونون ، أبغض ما يكونون الى الله ، لكفاهم ذلك عقابا .

وقال المأمون أيضا لبعض ولده : إياك أن تصغى لقول السعاة ، فانه ما سعى رجل برجل إلا انحط من قدره عندى ما لا يتلافاه أبدا .

وقال شاعر :

لعمرك ما سب الأمير عدوه ولكنما سب الأمير المبلغ

باب الأسئلة والفتاوى

فى الرضاع

جاء الى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر من محمد سعيد الخطيب بشرق الأردن الاستفتاء الآتى :

محمد نايف ومحمد وحيد الدين ابنا عم ، وقد رضع الأول من أم الثانى ، فهل يجوز للثانى أن يتزوج أخت الأول ؟

الجواب :

أنه يجوز بإجماع المذاهب لمحمد وحيد الدين فى هذه المسألة أن يتزوج أخت محمد نايف . والله أعلم ؟

وجاء الى اللجنة الاستفتاء الآتى من سيد عبد الخالق :

ما قولكم دام فضلكم فى امرأة ادعت أن بنتها رضعت من أم ضرتها ، ولما سئلت أم ضرتها قالت أنا عرضت عليها ثديى مرة واحدة فلم تقبله ، وفى ذاك الوقت كان عمرها ستة أشهر ، فما يكون الحل مع العلم بأن المدعية للرضاع أم الزوجة الأولى ، وقد قالت أم الزوجة الثانية أعنى المرضعة: عرضت عليها ثديى فبكت ولم تقبله ، وكان عمرها ستة أشهر وهى مرة واحدة ، ومع العلم أيضا بأن أم الزوجة الأولى تريد أن تفرق بين الزوجة الثانية وزوج بنتها ، أعنى الزوجة الأولى ، والزوج ناظر لكونه جمع بين الأختين فى الرضاع ، فإذا كان فيه حرمة أفيدونا بالفتوى حتى ينتهى المشكل .

الجواب :

لايثبت الرضاع بمثل الكلام المدون فى الاستفتاء ، فلا بأس على الزوج أن يقيم مع زوجتيه ، ولا يؤثر هذا الكلام فى الزوجية . والله أعلم ؟

فى الزكاة

وجاء الى اللجنة أيضا الاستفتاء الآتى من عثمان عمر صالح :

اعتاد أهالى أجترە مركز دنجلو بالسودان إخراج زكاة الفطر من التمر والذرة والقمح

والشعير لأن التمر والذرة على الخصوص هما غالب قوت هذه الجهات ، وقد زارهم أخيرا طالب من معهد أم درمان فأفتى بعدم جواز إخراج زكاة الفطر تمرا لأنه ليس بقوت .

الجواب :

أن التمر مما يقتات ويدخر، وما دام أهل الجهة المذكورة يقتاتونه كما هو نص الاستفتاء ، فإن المذاهب الأربعة تجيز إخراج زكاة الفطر منه ، متى كان هو غالب قوت أهل الجهة ، والله أعلم .

فى الميراث

وورد الى اللجنة من عبد الفتاح السيد بميت يزيد الاستفتاء الآتى :

رجل توفى وترك أخا لأب وأختين شقيقتين وبنتين وزوجة ، فما نصيب كل ، مع أن المرأة لها صداق مؤخر ؟

الجواب :

يخرج مؤخر الصداق من التركة أولا ويعطى للزوجة ، ثم يقسم الباقى هكذا : للبنتين الثلثان ، وللزوجة الثمن ، وللأختين الشقيقتين الباقى ، ولا شىء للأخ للأب .

فى الطلاق

وورد منه أيضا :

رجل حلف بالطلاق ثلاثا على زوجته أنها لا تذهب الى أخيها وإن ذهبت تكون مطلقة ، وذهبت عنادا له .

الجواب :

أن هذه يمين يقصد بها الحث على الامتناع عن الذهاب الى أخيها ، ويرى كثير من الفقهاء أنه يقع إذا ذهبت .

ويرى كثير من الأئمة عدم وقوع الطلاق الذى قصد به الحث على الامتناع عن شىء . وعلى هذا جرى العمل فى المحاكم الشرعية . واللجنة تفتى بما جرى عليه العمل تيسيرا على الناس ، وتوجيها لهم وجهة واحدة فيما يعود عليهم بالخير والمصلحة . وعليه لا تقع هذه اليمين ولو ذهبت الزوجة الى منزل أخيها . والله أعلم .

وجاء الى اللجنة الاستفتاء الآتى من حضرة محمد زكى افندى راضى المدرس بكلية الهندسة :

زوج حلف على زوجته فى غيبتها بالطلاق الثلاث ألا تخرج من المنزل إلا بصحبته ، ثم عقب على يمينه بأنه إن وقع هذا الطلاق فلا يرده ، والغرض من اليمين منعها من كثرة الخروج إلا معه ، ثم حدث أن خرجت الزوجة وحدها .

الجواب :

أن هذه اليمين يقصد بها الحث على امتناع الزوجة عن خروجها منفردة . ويرى كثير من الفقهاء أنها تقع لو خرجت وحدها .

ويرى بعض الأئمة أن اليمين التى يقصد بها الحث على الامتناع عن شىء لا تقع ولو وقع ذلك الشىء ، وعليه جرى العمل فى المحاكم الشرعية ، وبه تفتى اللجنة تيسيرا على الناس وتوجيها للمسلمين وجهة واحدة تعود عليهم بالاتحاد ، وعليه تكون هذه اليمين لاغية ولا يترتب بها شىء من التأثير فى العصمة . والله أعلم .

وجاء الى اللجنة الاستفتاء الآتى :

لرجل زوجة لا يحب لها الشجار مع الغير ، ويكره جدا أن تشتبك مع أى كان سواء بالقول أو العمل ، دخل مرة فوجدها تصيح وتصخب إثر تعارك عائلى ، فاستشاط غضبا وقال : « أنت طالق بالثلاثة وزى أمى وأختى » وكررها ثلاث مرات .

فما حكم الشريعة وآراء الأئمة فى هذا الموضوع ؟ ابراهيم دويدار

الجواب :

يرى بعض الفقهاء أن الطلاق بلفظ الثلاث يقع ثلاثا ، ويرى بعض الأئمة أن الطلاق بلفظ الثلاث لا يقع إلا طلقة واحدة ، وعلى هـذا الرأى الأخير جرى العمل فى المحاكم الشرعية ، واللجنة تفتى به تيسيرا على الأمة وتوحيدا لتفكيرها واتجاهها فى العمل بالشريعة الغراء .

أما كلمة « زى أمى وأختى » الواقعة بالعطف ، فالظاهر أنها لتوكيد معنى الثلاث المذكور فى لفظ الطلاق ، ولا يعتبر معنى جديدا ، كما أن التكرار لمجرد التوكيد .

وبناء عليه لا يقع باليمين المذكورة إلا طلقة واحدة . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

محمد عبد اللطيف الفحام

بين رجال الدين والفلسفة

اعتزمت كتابة هذه الكلمات لهذه الظاهرة التي تحققتها بعد طول التجربة ، وهى أنه قد يكون من العسير أحيانا إقناع فلان من الناس - وهو منقف أو فى طريقه للثقافة الفكرية العالية - برأى أو فكرة فى العلم أو الفلسفة يعتقد بادئ الأمر أنها لأحد المفكرين الأحرار أو الفلاسفة الذين وسمهم بالالحاد أو الكفر . فإذا أسندت هذا الرأى نفسه أو هذه الفكرة ذاتها لصاحبها وعرف أنه الامام الغزالى مثلا ، رآها صحيحة سهلة الهضم ومعقولة ، وسلم بها !

معنى هذا أن للماضى قداسته وقوته العارمة ، وأن أحكام الغزالى ومن لفّ لفّه على الفلاسفة بالكفر لا يزال لها أثرها الذى رجاه وعمل له من نزع الثقة بهم وتنفير الناس منهم(١) . ومعنى هذا أيضا أن جانبا كبيرا منا لا يزال يخلط فى هذه الخصومة التى أذكى نارها رجال الدين ضد الفلاسفة والمفكرين ، بين ما كان منها للدين وما كان للدنيا ، وبين الحكم بالإلحاد عن يقين والحكم به عن هوى أو تقليد . وكأن هذا الفريق منا يعتقد أن الله أعفانا من النظر بعقولنا ، وقد نظر حجة الاسلام وقدر وحكم ، فتراهم يصدرون عن رأيه ويتقبلون حكمه ، ويرفضون أن يسمعوا لمخالفيه رأيا وإن كان صحيحا ! ومن ثم ما يلقاه الباحث من عسر وصعوبة فى إقناع الغير وإن كانوا تلاميذه ببعض ما يقتنع من آراء .

من أجل ذلك رأيت معالجة هذا الأمر والتصدى لهذا البحث الشائك ، وأعنى به تبيّن العلاقة بين رجال الدين والفلسفة ، حتى نسير على بينة من أمرنا ، وحتى نعطى - فيما نبحث ونناقش - ما لقيصر لقيصر وما لله لله . والغرض الذى أهدف إليه هو معرفة الموقف الصحيح الذى كان لرجال الدين مع الفلسفة وما يتصل بها ، وتبيين البواعث التى جعلت من الأولين خصوما لُدًّا للفلاسفة والمفكرين ، والغايات التى قصدوا إليها من هذا اللدد فى الخصومة والإمعان فى الكيد ، والحكم على بعضهم بالالحاد فى الدين ومحادة الله ورسوله ، وبيان أن من الفلاسفة من كان مستوجبا لبعض ما اتهم به ، وأن منهم من كان يرى الحيطة فى الأمر فلا يرضى بتعليم تلاميذه طرفا من الفلسفة إلا بعد تثبتهم من الدين وحذق علومه التى تعتبر منه بمنزلة الأصول ، وذلك لما يعلمه من أنها - أى الفلسفة - مزلقة لغير المتثبت من دينه قبل كل شىء . ويتصل حتما بهذا الغرض أو الأغراض تعرف الجهود التى بذلها الفلاسفة

(١) هذا الغرض يبين كثيرا من أقوال الغزالى : مثلا المنقذ من الضلال طبع دمشق ص ٨٩ - ٩٠ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، التهافت طبع الاب بويج ببيروت ص ٦ - ٧ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٦؛ - ١٧٧ .

للتوفيق بين الدين والفلسفة ، وبيان أنهما رضيعا لبان (١) ، فما كان يصح فى العقل المستقيم أن يكون بينهما إلا كل تعاون وتآزر فى البحث عن الحقيقة وتجليتها . كما نذكر أيضا أن هذه الخصومة ليست مما يعيب الاسلام فى شىء وإن عابت بعض رجاله ، وأنها ليست مما اختص به الاسلام ورجاله .

حقيقة ليس الاسلام بدعا فى هذه الخصومة التى تقتضيها طبيعة الدين وطبيعة الفلسفة ؛ ذلك أن تاريخ العلم والفكر فى القرون الوسطى المسيحية حافل بأعنف ألوان الصراع بين العلم ورجاله ورواد الكشف والاختراع ، وبين الكنيسة وحماتها ، لأمور ما كان يجوز ـ فى رأى الباحث اليوم ـ أن ينتطح فيها عنزان .

هذه الخصومة شبت نارها فى أزمان مختلفة لبواعث تتقارب وتتباعد وتتشابه وتختلف ، لا فرق بين المسيحية فى هذا والاسلام ، إلا أن يكون عنف الخصومة وتفاهة أسبابها أظهر فى الأولى .

الدين مصدره القلب الذى يتفتح للعقيدة بالهام قوة عليا ، فترسخ هذه العقيدة بحيث يهون لدى المؤمن التضحية بالنفس فى سبيل الدفاع عنها والمنافحة دونها . والفلسفة أداتها العقل الذى يستقرئ ويحلل ويستدل ثم يعتقد دون أن يتقيد بادئ الأمر برأى أو عقيدة لم يقم عليها دليل . من أجل هذا يكون عدم الالتئام بين الدين والفلسفة لاختلاف مصدريهما ، وتكون الخصومة والإلحاح فيها واضطهاد الفلاسفة أحيانا ، واجبا فى رأى بعض رجال الدين دفاعا عنه ، ووقوفا فى سبيل المعتدين عليه المناهضين له على ما يرون .

على أنه لو أنصفنا الحق وفهمنا الأمر على وجهه ولم نطلب الدنيا بالدين ، لرأينا ـ لما سيجىء ذكره من أسباب ـ أنه لم يكن ليصح أن يقوم بين الدين الذى يستند الى العقل فى ترسيخ قواعده واستكناه أسراره وبين هذا العقل الذى لا يستغنى عن الدين ، خلاف أو خصومة فى حال من الأحوال . ورحم الله الغزالى حين يرى أن العقل كالأس والشرع كالبناء ، وأنه لن يغنى أس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس (٢) . وليته صرف بعض جهده الجبار فى التوفيق بين الدين والفلسفة ـ ما دام يرى هذا الرأى ـ بدل الحرب التى أرث نارها ضد الفلسفة والفلاسفة بلا هوادة ولا رحمة ، وبلا إنصاف أحيانا ! بعد هذا ندخل فيما قصدنا اليه أولا ، وهو عرض ما كان من هذه الخصومة فى الاسلام ، فنقول :

عاش العرب قبل مجىء الإسلام فى بيئتهم القاسية فى جوها وأرضها وسمائها ، فكانوا مضطرين أن ينتجعوا الغيث ويتتبعوا مواقع القطر ، وأن يحيوا حياة قلقة مضطربة لا قرار

(٢) كتاب فلسفة ابن رشد نشر ميلر (Muller) بمونيخ عام ١٨٥٩ ص ٢٦ .

(١) معارج القدس الطبعة الاولى عام ١٣٤٦ هـ ص ٥٩ .

فيها يساعد على النظر أو يدفع اليه ؛ لذلك نجدهم شغلوا بضرورات الحياة عن العلم والفلسفة إلا ما كانوا مضطرين اليه من أنواع المعارف المختلفة . ولهذا يقول صاعد بن أحمد الأندلسى فى كتابه طبقات الأمم (١) : « وكان للعرب معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها ، على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول التجربة ، لاحتياجهم الى معرفة ذلك فى أسباب المعيشة ... وأما علم الفلسفة فلم يمنحهم الله عز وجل شيئا منه ، ولا هيأ طباعهم للعناية به » .

ولما جاء الاسلام ونزل القرآن ، بهرتهم تعاليمه ، وأخذتهم روعته ، ووجدوا فيه بعد أن تقبلوه غذاء لقلوبهم ومتعا لنفوسهم وإرضاء لطلعتهم ، فانصرفوا به عن الفلسفة . لم يكن لهم فى صدر الاسلام حاجة للتفلسف وقد أغناهم القرآن عن البحث فى الألوهية ، وخلق العالم ، والقضاء والقدر ، وخلود النفس ، والحياة الأخرى ، وما الى ذلك من المشاكل والمسائل التى شغلت ولا تزال تشغل الفلاسفة بعد أن رأوا فيما نزل الله على رسوله ما اعتبروه حلولا لهذه المسائل . إذن انصرف العرب فى جاهليتهم عن التفلسف لقسوة الحياة التى كانوا يحيونها ، وانصرفوا أيضا عن الفلسفة طوال العصر الأول من الاسلام لأنهم وجدوا فى القرآن غنية عنها .

ثم اتصل المسلمون بالثقافة اليونانية ، وانتفع علماء الكلام لا سيما المعتزلة بها فى تأييد آرائهم والرد على مخالفيهم . وهكذا بالترجمة وبعوامل أخرى انسابت الفلسفة اليونانية أو علوم الأوائل بين المسلمين بما فيها من آراء لا تتفق مع الاسلام فى رأى كثير من المسلمين ، فأوجسوا منها شرا ، ورفضوها جملة وتفصيلا ، ورأوا فى رجالها وأشياعها أعداء للدين يجب الحذر منهم والتنكيل بهم ما وجدوا الى ذلك سبيلا ؛ إلا أن هذه الخصومة كانت تشتد حينا وتخف حدتها حينا ، وتستعلن آنا وتستتر آنا ، تبعا لتعصب رجال الحكم أو تسامحهم ، ولقوة رجال الدين أو ضعفهم ، ولغير هذا وذاك من العوامل التى كان لها أثرها فى تلك الأيام .

هذه الخصومة بل هذا العداء لم يكن بين رجال الدين والفلسفة وحدها ، بل كان بين الأولين ورجال علم الكلام أيضا ، كما كان كذلك بين أهل السنة والمعتزلة . فالباحث المؤرخ للحالة العلمية فى القرن الثالث والرابع من الهجرة يرى أن أهل السنة كانوا فى القرن الثالث يظهرون الكراهية والاحتقار للمعتزلة ويناصبونهم العداء ، وأنه فى أثناء القرن الرابع كان أصحاب مذهب أهل السنة القدماء (أى قبل الأشعرى) يضيقون على المعتزلة الخناق فى جميع البلاد لاستعانتهم بالفلسفة وإدخالها فى علم الكلام (٢) بل إن أبا حسن الأشعرى الذى كان معتزليا ثم خرج على أصحابه وبدأ يحاربهم بسلاحهم — وهو النظر العقلى الذى يستند بعض

---

(١) الطبعة المصرية ص ٥١ . (٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى للمستشرق الالمانى آدم متز ج ١ ص ٣٣٩ من الترجمة العربية للاستاذ محمد عبد الهادى أبى ريده .

الشيء للفلسفة اليونانية — لم يعدم من رجال الدين المتزمتين خصوما لُدًّا فى خصومتهم . ذلك أن المذهب الأشعرى لم يكد يأخذ فى الانتشار بالعراق نحو عام ٣٨٠ هـ حتى بدأت تظهر آثار اضطهاده ؛ ومن ذلك ما حاوله الحنابلة من منع الخطيب البغدادى المتوفى عام ٤٦٣ هـ من دخول المسجد الجامع ببغداد لا لشيء إلا لأنه كان يذهب مذهب الأشعرى (١) وبلغ من لدد الحنابلة فى الخصومة وتحاملهم على الأشاعرة فى ذلك العصر ، أن وقع بسبب إثارتهم العامة قتال فى شوارع بغداد سببه الاختلاف فى الرأى وقصر النظر وضيق العطن ، وأن لم يتورع شيخ الحنابلة حوالى عام ٤٠٠ هـ من لعن أبى الحسن الأشعرى (٢) .

هذه مثل تبين نظر رجال الدين الأوائل لعلم الكلام على مذهب الأشعرى أو مذهب المعتزلة ، ومبلغ الخصومة التى كانت بينهم والكراهة التى كانوا يحسونها لرجال الكلام عامة ، والاضطهاد الذى لاقاه هؤلاء من الأولين . ولكن يحسن ألا ننتهى من هذه الكلمة قبل أن نشير الى ثلاثة أمور تبين بجلاء لا خفاء فيه ولا لبس موقف رجال الدين عامة من علم الكلام ؛ هذه الأمور هى :

(١) يذكر ابن الأثير فى تاريخه عند عرضه أخبار عام ٢٧٧ هـ أنه كان من المفروض على النساخ المحترفين ببغداد فى ذلك العام أن يقسموا بأنهم لن يشتغلوا بانتساخ أى كتاب فى الفلسفة، وكان هذا القرار — كما يروون — يشمل تحريم الاشتغال بنسخ كتب علم الكلام أيضا (٣) .

(٢) إن الحملة التى أثيرت ضد المتكلمين وبخاصة المعتزلة ، والتى حمل لواءها الحنابلة ومشايعوهم ببغداد ، حملت الحكومة على أن تتدخل رسميا لوضع حد لتلك المنازعات الدامية أحيانا ؛ فأصدر الخليفة القادر بالله العباسى عام ٤٠٨ هـ كتابا ضد المعتزلة يأمرهم فيه بترك الكلام والتدريس والمناظرة فى الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام ، وأنذرهم بحلول النكال والعقوبة الصارمة إن خالفوا أمره (٤) .

(٣) إن المقريزى ذكر فى خططه — فى الفصل الذى عقده لبيان الحال فى عقائد أهل الإسلام فى الزمن الأول الى أن انتشر مذهب الأشعرى — أنه لما حدث مذهب الاعتزال وتكلم المعتزلة فيما تكلموا فيه عن العدل والتوحيد وإثبات أفعال العباد الى غير ذلك من مسائلهم « تبعهم خلائق فى بدعهم ، وأكثروا من التصنيف فى نصرة مذاهبهم بالطرق الجدلية ،

(١) المرجع المذكور ج ١ ص ٣٣٩ . ويرجع أيضا للمقريزى فى الخطط ج ٢ ص ٣٥٨ .
(٢) الطبقات للسبكى ج ٣ ص ١١٧ .
(٣) انظر أيضا التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ١٣٥ .
(٤) الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٤٠

فنهى أئمة الاسلام عن مذهبهم، وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله »(١). ثم ختم المقريزى هذا الفصل الأول بقوله : « فهذه جملة من أصول عقيدته (أى عقيدة الأشعرى) التى عليها الآن جماهير أهل الأمصار ، والتى من جهر بخلافها أريق دمه » (٢) .

وموعدنا إن شاء الله تعالى العدد الآتى لبيان ما يأخذه الباحث من هذه النصوص التاريخية والواقعات الثابتة ، ليستطيع أن يحدد فى وضوح تام موقف رجال الدين من علم الكلام وكتبه ورجالاته ؟

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

(١) ج ٤ ص ١٨٣ (٢) ج ٤ ص ١٨٨ .

الحكمة القرآنية والفلسفة اليونانية

نشرنا المقال السابق لفضيلة الأستاذ النابه الشيخ محمد يوسف موسى، وموضوعه خطير ، وهو إيجاد عهد سلام بين الاسلام والفلسفة ، وقد اضطر لأجل الوصول الى هذه الأمنية أن يسرد تاريخ المسلمين فى مجافاة الفلسفة اليونانية متابعين فى ذلك أئمتهم ، ثم قال : « ومعنى هذا أيضا أن جانبا كبيرا لا يزال يخلط فى هذه الخصومة التى أذكى نارها رجال الدين ضد الفلاسفة والمفكرين » ، وذكر حجة الاسلام الغزالى فقال : « إن أحكام الغزالى ومن لف لفه على الفلاسفة بالكفر لا يزال لها أثرها الذى رجاه وعمل له » . وقال فيه أيضا : « ليته صرف بعض جهده الجبار فى التوفيق بين الدين والفلسفة (ما دام يرى أن العقل كالأس والشرع كالبناء) ، بدل الحرب التى أرّث نارها ضد الفلسفة والفلاسفة بلا هوادة ولا رحمة ، وبلا إنصاف أحيانا » .

ونحن نقول : إن هذا بعينه رأى الفرنجة ، وهم يعللونه بأن أئمة المسلمين وقفوا هذا الموقف جهلا منهم واستبقاء لسلطانهم على العامة . ولسنا نرى نحن هذا الرأى ؛ وليس بحث مسألة الفلسفة على هذا الوضع يؤدى الى حسم مادة الخصومة بينها وبين الاسلام ، ولا هو يتفق مع أمر جلل قام به المسلمون الأولون ولم يدون مثله فى تاريخ ملة من الملل ، ألا وهو أخذهم كل ما صادفوه فى الناحية العلمية الطبيعية من الفلسفة اليونانية حتى بزوا فيها أصحابها ، مع إصرارهم على رفض الناحية الفلسفية المحضة منها ، وكراهتهم لها الى أقصى حد .

فنهى أئمة الاسلام عن مذهبهم ، وذموا علم الكلام وهجروا من ينتحله »(١) . ثم ختم المقريزى هذا الفصل الأول بقوله : « فهذه جملة من أصول عقيدته (أى عقيدة الأشعرى) التى عليها الآن جماهير أهل الأمصار ، والتى من جهر بخلافها أريق دمه » (٢) .

وموعدنا إن شاء الله تعالى العدد الآتى لبيان ما يأخذه الباحث من هذه النصوص التاريخية والواقعات الثابتة ، ليستطيع أن يحدد فى وضوح تام موقف رجال الدين من علم الكلام وكتبه ورجالاته ؟

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

(١) ج ٤ ص ١٨٣ (٢) ج ٤ ص ١٨٨ .

الحكمة القرآنية والفلسفة اليونانية

نشرنا المقال السابق لفضيلة الأستاذ النابه الشيخ محمد يوسف موسى ، وموضوعه خطير ، وهو إيجاد عهد سلام بين الاسلام والفلسفة ، وقد اضطر لأجل الوصول الى هذه الأمنية أن يسرد تاريخ المسلمين فى مجافاة الفلسفة اليونانية متابعين فى ذلك أئمتهم ، ثم قال : « ومعنى هذا أيضا أن جانبا كبيرا لا يزال يخلط فى هذه الخصومة التى أذكى نارها رجال الدين ضد الفلاسفة والمفكرين » ، وذكر حجة الاسلام الغزالى فقال : « إن أحكام الغزالى ومن لف لفه على الفلاسفة بالكفر لا يزال لها أثرها الذى رجاه وعمل له » . وقال فيه أيضا : « ليته صرف بعض جهده الجبار فى التوفيق بين الدين والفلسفة (ما دام يرى أن العقل كالأس والشرع كالبناء) ، بدل الحرب التى أرّث نارها ضد الفلسفة والفلاسفة بلا هوادة ولا رحمة ، وبلا إنصاف أحيانا » .

ونحن نقول : إن هذا بعينه رأى الفرنجة ، وهم يعللونه بأن أئمة المسلمين وقفوا هذا الموقف جهلا منهم واستبقاء لسلطانهم على العامة . ولسنا نرى نحن هذا الرأى ؛ وليس بحث مسألة الفلسفة على هذا الوضع يؤدى الى حسم مادة الخصومة بينها وبين الاسلام ، ولا هو يتفق مع أمر جلل قام به المسلمون الأولون ولم يدون مثله فى تاريخ ملة من الملل ، ألا وهو أخذهم كل ما صادفوه فى الناحية العلمية الطبيعية من الفلسفة اليونانية حتى بزوا فيها أصحابها ، مع إصرارهم على رفض الناحية الفلسفية المحضة منها ، وكراهتهم لها الى أقصى حد .

فكيف يعقل أن الأئمة الذين لم يمنعوا ذويهم من الأخذ بما نضج من ثمرات العلم مهما كان مصدره، والذين قرروا وجوب تأويل كل نص يخالف ظاهره حكم العلم، يعمدون الى معاداة الفلسفة اليونانية، مع شغفهم بأخذ كل جديد صادفوه لدى الأمم ؟

السبب فى ذلك هو ما ذكرناه فى عدد سابق ووعدنا ببسط القول فيه ، أن المسلمين لم يجافوا الفلسفة اليونانية سذاجة وبلاهة منهم، ولكن لأنه كان لديهم فلسفة آتاهم إياها القرآن، تسمو على كل فلسفة فى الأرض ، وتجليها على ما هى عليه فى الواقع أوهاما لا يقام لها وزن .

ما هى الفلسفة القرآنية ؟

لا عبرة بالتسمية ، فكلمة فلسفة يونانية معناها محبة الحكمة ، وقد أطلقوها على ثمرات تفكير عقلائهم فى الوجود وموجده ، وفى القوى العاملة فى الكون، وفى الانسان وعلاقته بالعالم ، وفى النفس البشرية وخصائصها الخ الخ ؛ جاعلين أساسىْ إنتاجهم العقل وقوة التصور . وقد اختلفوا فى مذاهبهم بقدر ما اختلفوا فى هذين الأساسين ، حتى كان منهم المثبت إثباتا مطلقا ، والنافى نفيا مطلقا ، بل كان منهم من أنكر المحسوسات مؤكدا أن الوجود وهم فى وهم .

وقد جرت الفلسفة على هذا السمت نحو ألفى سنة حتى تخلص العلم من الأوهام والظنون واتخذ لنفسه دستورا أساسه المشاهدة والتجربة ، فألقى بكل فلسفة خيالية من حالق ، وأسس الآخذون إخذه فلسفة دعوها بالفلسفة الطبيعية ، جعلوا قاعدتها المكتشفات العلمية . وقد أريناك من أقوالهم الى أى حد من الأدب والتحفظ وصلوا ، فى مقالنا الفلسفى المنشور فى العدد الرابع .

بعد هذه المقدمة الوجيزة نتساءل : هل جاء القرآن المسلمين بفلسفة ؟

نعم جاءهم بفلسفة تبز فى سموها أرقى فلسفة ، وأطلق عليها ما يقابل هذه الكلمة من اللغة العربية ، وهى (الحكمة) ، وقد نوه بها القرآن فى آيات كثيرة ، وأفردها بالذكر فى مقامات تقتضيها ، إشارة الى أنه سيأتى يوم يكون النضال فيه حول هذه الكلمة شديدا ، وتكون المقابلة بينها وبين مزاحماتها من الفلسفات الأجنبية متحتما .

نبدأ بحثنا فى هذا الموضوع باثبات صحة نظرنا فى وجود (الحكمة) القرآنية بالاعتبار الذى بيناه هنا ، ثم نأتى ببيان الأصول التى تقوم عليها ، لتتعين اسما ومعنى ، وتمكن المقابلة بينها وبين أرقى فلسفات العالم ، والمناخة عنها على أساس علمى لا تتأتى الملاحاة فيه .

بعض الآيات التى تثبت ادعاءنا فى وجود الحكمة القرآنية :

قال الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب (والحكمة) يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شىء عليم » .

وقال تعالى : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب (والحكمة) ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وقال تعالى : « وأنزل الله عليك الكتاب (والحكمة) ، وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما » .

وقال تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب (والحكمة) ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

وقال تعالى : « واذكرن (الخطاب لنساء النبي وسائر النساء) ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله (والحكمة) » .

هذا بعض ما ورد فى القرآن الكريم من التنويه بالحكمة ؛ وفى خصها بالذكر إشارة لا يجوز أن تخفى على أحد اليوم ، فلا عجب أن يستعصى الذين أنزلت اليهم (حكمة) أساسها العقل والعلم والمشاهدات ، على حكمة أجنبية قُدمت اليهم تحت اسم فلسفة أساسها الظنون والخيالات والأوهام .

بهذا وحده يمكن تعليل تسارع المسلمين الاولين الى تلقف ما صادفوه لدى الأمم من العلوم الطبيعية ، وشغفهم بما قام لديهم الدليل على صحته منها ، حتى أولوا فى سبيله ما يناقضه من ظاهر الكتاب ، وتوقفوا عن أخذ الناحية النظرية من الفلسفة كل التوقف .

نعم إن المسلمين أمروا أن يبادروا الى تصيد (الحكمة) حيث وجدت ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ولو من مشرك » ؛ ولكن هذا لا يصح إلا فيما لم يكن لديهم ما يقابلها ؛ وقد قامت لديهم الأدلة على سمو ما لديهم على جميع منافساتها ، كما سيتضح للقارئ مما سنعرضه عليه من أصول الحكمة الاسلامية ، وأصول الفلسفة اليونانية .

ومما يدل على أنهم جروا من هذا التخير على أساس صحيح ، مبادرتهم الى اقتباس المنطق من القسم النظرى من الفلسفة اليونانية ، لأنهم رأوا أن المنطق أداة نافعة للتدليل ، وواقية من الخبط فى وضع المقدمات واستخراج نتائجها ، وكان هذا المنطق مما استخدموه من الوسائل لنقض الفلسفة اليونانية التى افتتنت الأمم بها ، ثم اضطرت لأن تتركها لما ارتقت العلوم والعقول ، ورأت أنها لا تقوم إلا على الخيال الذى لا يغنى أمام الحقائق اليقينية شيئا . فبطلت الفلسفة اليونانية وبقيت (الحكمة القرآنية) قائمة ؛ وسيتضح للقارئين كافة أنها من الحقائق الخالدة ، وأنه كان لدى أئمتنا الاولين بصيرة نافذة فى التعويل عليها ، ورفض ما عداها رفضا لا هوادة فيه ، ولأنهم رأوا أن لا أساس لها إلا الظنون والخيالات ، وقد نهتهم حكمتهم عن الأخذ بالظنون التى لا تستند الى برهان .

أصول الحكمة القرآنية :

الحكمة القرآنية تتناول جميع ما يتصل بحياة الانسان المادية والادبية ، وهى تبتدئ من قواعد الآداب العادية وموجباتها الحيوية ، الى الحالات العالية للنفسية الانسانية ، وبواعثها من العوامل الروحية ؛ ومن أوليات الأصول الاجتماعيـة ، الى نهايات الوحدة الانسانية بل العالمية ؛ ومن بسائط الأسس الادارية والاشتراعية ، الى أعلى المبادئ الحكومية والدستورية ؛ ومن أوضح القواعد الثقافية ، الى أسمى وأدق القوانين الفلسفية والعلمية . الخ

هـذه الأصول كلها مبثوثة فى الكتاب الذى أمر المسلمون أن يتخذوه دستورا لهم فى جميع ما تدفعهم اليه الحياة الدنيوية ، والأغراض الأخروية . وهى كما ترى ذات نواح متعددة قد درسنا كثيرا منها فى عدد عظيم من بحوث نشرناها هنا . وحاجتنا اليوم ماسة الى استخراج ما يتصل منها بالقواعـد الثقافية ، والأصول الفلسفية والعلمية ، وشهوة العقـل للوصول الى الحقائق الوجودية ، لمقابلتها بأصول الفلسفة اليونانية وأصول الفلسفة العصرية .

الأصل الأول : الانسان لم يحصل من العلم إلا قليلا : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

الأصل الثانى : يجب على الانسان أن يتعلم لمصلحته المادية ومصلحته الروحية : « وقل رب زدنى علما » ، « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » بكسر اللام . « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

الأصل الثالث : العلم لا يحصّل إلا بالنظر فى الوجود والموجودات ، والتأمل فى أحوال الكائنات ، لا بالظنون والأوهام : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ، « وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون » ، « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟ » .

الأصل الرابع : إقامة سلطان العقل ، والالجأ الى حكمه فى كل خلاف ، مع البعد عن الأهواء والجنوح الى الأباطيل : « أفلا تعقلون » ، « لعلكم تعقلون » ، «ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » ، « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، ولكم الويل مما تصفون » .

الأصل الخامس : الاعتماد فى تحقيق المسائل الى تقرير العلم الممحص لا الى الأوهام ولا المقررات الموروثة : « وإن كثيرا ليُضلون بأهوائهم بغير (علم) » ، « سفها بغير (علم) » « عَدْواً بغير (علم) » . « يضلونهم بغير (علم) » . « قل هل عندكم من (علم) فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن ، وإن أنتم إلا تخرُصون » أى تكذبون .

الأصل السادس : عدم متابعة الخيالات فيما ليس وراءه علم يسنده ، ويعدل من تطرف الناظر فيه : « ولا تَقْفُ (أى ولا تتبع) ما ليس لك به (علم) إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » .

الأصل السابع : وجوب التثبت فى العلم وعدم الأخذ بدون دليل : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة » ، « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »

الأصل الثامن : تحريم التقليد للآباء فى العلم ، والتعصب لآرائهم : « قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » .

الأصل التاسع : عدم الجمود على المعلومات المختزنة ، وضرورة سماع كل رأى والأخذ به إن كان حقا : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب » .

الأصل العاشر : وجوب الحذر من الظنون والأوهام ، فانهما كانا السبب فى تضليل الناس وإفساد نفوسهم فى جميع الأجيال : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » . « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ، إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ، إن الله عليم بما يفعلون » .

كره الاسلام لذويه الاعتماد على الظنون حتى فيما يتعلق بفهم القرآن نفسه ، فقرر أن فيه نوعين من الآيات ، أولهما يشتمل على الحلال والحرام ، وأصول الشريعة والأخلاق ، وما تحتاج اليه الأمة فى كل ما يتصل بحياتها الاجتماعية والاقتصادية ؛ وهى جلية صريحة لا تعترك عليها الأفهام ، وسمى هذا النوع (محكما) . (وثانيهما) يتعلق بأمور تعلو متناول العقل البشرى ، ولو عولجت به اختلفت عليها الآراء ، وتباينت فيها التأويلات ، وصارت مثارا للجدال والنزاع ، وسمى هذا النوع (متشابها) ؛ ففرض على الآخذين به النظر فى الأولى ، والعمل بها ، وحرم عليهم الجدل فى الثانية ومحاولة تأويلها ، فقال تعالى : « هُو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب (أى أصله) ، وأخر متشابهات (أى لا يتضح مقصودها لكونها غير موافقة للظاهر) ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » .

فاذا كان مذهب الحكمة القرآنية عدم جواز الخوض فى الظنيات ، حتى فيما يتعلق بفهم القرآن ، فهل يسمح به فى سبيل الناحية النظرية من الفلسفة اليونانية ؟

القرآن لم يحرم النظر فى الوجود بل حث عليه وطالب به ، ولكنه نبه على أن الحكم على شىء منه لا يجوز أن يكون إلا إذا كان مستندا الى (علم) ، أما الى مجرد الاوهام والخيالات فلا ؛ وهذه نزعة فلسفية لم يسمع بها إلا فى القرن التاسع عشر ، واعتُبرت خطوة نهائية فى

سبيل إبلاغ الفلسفة أوج تطورها ؛ فهـل يلام أئمة المسـلمين الأولين على توقفهم عن الأخذ بالفلسفة اليونانية ، عملا بأصول حكمتهم ، وخاصة بعد ما ثبت فى القرون الأخيرة أن بضاعة تلك الفلسفة فى ناحيتها النظرية كانت وليدة الظنون والأوهام ؟

المقرر المعلوم أنه كان للفلسفة اليونانية ناحيتان : ناحية علمية طبيعية ، وناحية نظرية افتراضية ؛ فأما الناحية الأولى فقد أخذها المسلمون عنهم ، وأوسعوها بحثا وتمحيصا ، وزادوا مادتها زيادة عظيمة ، حتى بزوا فيها أصحابها الأولين . ولم يـكتفوا بذلك بل أضافوا إليها كل ما صادفوه منها لدى الأمم الأخرى كالفرس والهنود والصينيين ، مما جعل جامعاتهم محط رحال طلاب العلم من جميع الشعوب .

وأما الناحية النظرية الفـكرية التى اعتمد اليونانيون فيها على الآراء والظنون ، فقـد أهملها المسلمون عملا بالحـكمة المنزلة إليهم من عدم إضاعة الوقت سدى وراء ما ليس لهم به (علم) ، ولا يمكن تحقيقه بدليل محسوس .

فهل يلام أئمـة المسلمين على إهمالهم التوفيق بين دينهم وبين الناحية النظرية الافتراضيـة من الفلسفة اليونانية ، وليس لديهم لتحقيق صحتها أثارة من علم يقين ؟

أثر هـذه التعاليم فى نفسية المسلمين :

هذا الدفع المتواتر فى وجوه الأوهام والظنون ، وهذا الزجر المتتابع لعدم التعويل على خواطر الصدور ، وهـذه الانذارات المتوالية للمتسامحين فى الأخذ بدون دليل ، يضاف الى هذا كله الوصايا المشددة بوجوب التثبت مما يقال ، والاستيثاق من صحته ، تفاديا من الوقوع فى الضلال ؛ كل هذا أنشأ لعقلية المسلمين مناعة عظيمة ضد الآراء والظنون ؛ مناعة حملتهم على نقـد كل شىء حتى أحاديث نبيهم ، فأنشأوا ضوابط للرواية ، لم يسبقهم الى مثلها سابق من العالمين ، وصاروا لا يقبـلون ما يروى لهم منها إلا سالما من جميع علل الرواية والرواة والمؤلفين .

هذه المناعة نفسها خدمتهم فى أخذهم بالعلوم الطبيعية ، فقد أوسعوها نقدا ، وتمـكنوا بذلك من تمحيصها وتثبيتها على قرار مكين .

وهذا كان السبب الرئيسى فى تمهرهم فى العلوم الطبيعية ، وحلولهم مكانة الزعامة منها دون سائر الأمم التى كانت عريقة فيها . وهذه ظاهرة اجتماعية لم يدونها تاريخ البشرية لغير الأمة الاسلامية . ذلك أنه لم يشاهد قط أن أمة تشتغل ، وهى فى دور حماستها الدينية ، بالعلوم المادية ، فضلا عن أن تبز فيها حاملى لوائها بين العالمين .

فان تعجب من هذه الظاهرة الفذة فى تاريخ العقلية الإنسانية ، فان الفضل فيها لتوجيهات

(الحكمة القرآنية) لأهلها من الناحية الثقافية ، ولو كان المسلمون تنكبوا عنها الى الفلسفة اليونانية ، لما بلغوا المكانة التي وصلوا اليها ، ولخلطوا بين المنقول والمعقول خلطا يتعذر عليهم بعده أن يتخلصوا من تبعاته ، ولانحرف دينهم الفطرى عن صراطه ، كما انحرفت الأديان التي سبقته ، ولا ضطروا الى محاولة إصلاحه ، وهذه المحاولة تجر بطبيعتها الى فصم عروة وحدته ، وفى فصمها الشر كله على أهله كما لا يخفى على خبير .

وليس فى بقاء الاسلام نقيا خالصا من الشوائب ، فضل يعود الى شيء غير (الحكمة) التى قرنت به ، فانها أُلفت بحيث تحميه من كل عدوان يوجه اليه ، وحليت من الحوافظ بما يجعله بمأمن من كل انحراف يؤثر فيه ؛ وكان من أقوى هذه الحوافظ سدها الطريق على الظنون والأوهام والتأويلات التى جعلته ينبذ كل فلسفة ظهريا ، ودفعته لتطلب العلم الثابت دفعا حتى جعلت نجاة الآخذ به معلقا عليه . ألم يقل الله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » ؟ أوَ لم يقل أيضا : « إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء » ؟

ومن آثار (الحكمة القرآنية) فى عقلية المسلمين كراهة أئمتهم أن تعتبر آراؤهم قضايا مسلمة لدى تلاميذهم ، فنهوهم عن الأخذ بها بدون نقد ولا تمحيص ، فاشتغل هؤلاء التلاميذ بعرضها على الموازين العلمية ، واستدركوا على أساتذتهم فى بعضها ، وأعلنوا ذلك للباحثين .

هذه الحرية فى البحث لم تؤثر إلا عن المسلمين ، وهى من أينع ثمرات (الحكمة القرآنية) التى نعرضها اليوم على الناظرين .

وكان من النتائج الطبيعية لهذه الحرية ، أن اعتبر باب التجديد مفتوحا فى وجوه الناس الى يوم الدين .

رجوع الفلسفة الغربية الحديثة الى أصول (الحكمة القرآنية) :

إذا كان فى القرن العشرين ما يجب اعتباره سموا لا مرتقى بعده للعقل البشرى ، ونضجا لا يخشى عليه معه الانخداع بالأوهام ، فهو ما تحققه هذا العقل نفسه بعد طول مراسه لظواهر الوجود ، أنه لم يصل من حقائقها إلا لذرو لا يسمح له أن يُزَهى به ، وأن يعتبر نفسه بسببه قد وصل الى شيء يحسن به أن يجمد عليه .

وقد صرح بهذه الحقيقة أعلام الباحثين فى الكون ، وقد نقلنا بعض أقوالهم فى مقالنا المنشور بالعدد الرابع من هذه المجلة ؛ ونرى أن نحلى مقالة اليوم بواحدة منها للفيلسوف المشهور هربرت سبنسر الانجليزى منقولا عن كتابه (الأصول الأولية) فى فهم حقيقة الكون ، قال :

« أى وظيفة تؤديها هذه الأصول فى تكوين هذا الفهم ؟ هل تستطيع واحدة منها أن

تعطينا فكرة عن هذا الوجود ، أعنى عن مجموع ظواهر الموجود الذى لم يمكن إدراكه ؟ وإذا اعتبرناها مجتمعة ، فهل تستطيع أن تعطينا فكرة تساوى جلالة هـذا الوجود ؟ وإذا رُتبت وجعلت مذهبا ، فهل تستطيع أن تكوِّن لنا هـذه الفكرة المرجوة ؟ ليس لنا على كل هذه المسائل إلا جواب واحد ، وهو : لا ! » .

* * *

نقول : فى هذا الدور من التطور البعيد المدى للعقلية الانسانية ، تتفق الفلسفة العصرية و (الحكمة القرآنية) ؛ فاذا طُلب الى المسلمين أن يوفقوا بينهما لمصلحة الثقافة العامة ، فهاهما قد اتفقتا كل الاتفاق فى هذه النهاية المناسبة لسمو المواهب الانسانية .

وأما ما كان يُرجَى أن يقوم به الامام الغزالى من التوفيق بين (الحكمة القرآنية) والفلسفة اليونانية ، فى الوقت الذى كان فيه العقل لا يزال فى درجة الطفولة ، تخدعه العبارات المنمقة ، والألفاظ المبهرجة ؛ والذى كانت فيه الفلسفة مجموعة ظنون وأوهام وخيالات ، فإن ذلك مما كان يعجز عنه الإمام الجليل كل العجز ؛ وكان أجمل موقف يستطيع أن يقفه : هو أن يكافح تلك الفلسفة ويبعد خطرها عن عقلية المسلمين ، كما فعل أسلافه من قبل .

خلاصة القول :

خلاصة القول أن الحكمة القرآنية تأبى قبـول أية فلسفة تستند على مجرد الظنون ، فهى تشترط للأخذ بها أن تكون قائمة على (علم) يؤيدها ؛ قال تعالى : «نبئونى (بعلم) إن كنتم صادقين» « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير (علم) » .

و(العلم) فى عرف (الحكمة القرآنية) يجب أن يكون محققا بوسائل التحقيق المتفق عليها ، فان ظفرتْ بشىء من ذلك أسرعتْ الى اقتباسه ، واستنتجتْ منه كل ما يحتمله من ثمرات مادية وأدبية . وهل يرادمنها فى سبيل احترام العـلم اليقين ، أكثر من صرف الآيات عن ظواهرها إن ناقضت ما ثبت منه بالدليل المحسوس ؟

(فالحكمة القرآنية) بطبيعة تركيبها ، ومقتضى أصولها ، هى من الضرب الذى اتفق على تسميته حديثا بالفلسفة العلمية ، وهى التى تقرر أنها الفلسفة الحقة التى لا يجوز تجاوز حدودها ، بعد ما ثبت أن مالا يقوم على (العلم) فلا يبعد أن يكون وهما من الأوهام ، وهو ما يجب أن يتقيه الانسان ، وخاصة بعد ما بلغ رشده الفلسفى فى هذا الزمان ؟

محمد فريد وجدى

المدنية المادية

وهل أفلست فى إسعاد البشرية

وفق العلماء فى الثلاثة القرون الأخيرة الى مخترعات كانت مثارا للدهش والاستغراب ، تخيل الى الناس أن حلم السعادة المنشودة قد تحقق ، وأن البشرية تستقبل عصرا مملوءا بالهناء والرخاء ، وأنها لن ترى بعد ذلك بؤسا ولا شقاء ، وأن نعيم الآخرة الذى وصف فى الكتب السماوية سيتحقق فى هذه الحياة ، فعظم شأن العلم الطبيعي فى أعينهم وسموا هذا العصر بعصر النور ، وعنوا بالنور نور المعرفة والعلم ، وغفلوا عن أن الذى يفتنهم من هذه المدنية هو الجانب الصناعي ، وهو كما ولد الوسائل والآلات المعينة على تسهيل الحياة ، وتخفيف الآلام ، ولد بجانبها البوارج والمدمرات ، والغواصات والطيارات ، والقنابل الهادمة والمحرقة ، والمهلكات من جميع الأنواع .

هذه هى أهم مظاهر المدنية التى اغتبط بها الناس وظنوا بها خيرا ؛ ولكنها لم تحقق الظن فيها ، فلم تفتح لهم بابا من أبواب السعادة إلا فتحت عليهم أبوابا من الويلات لم تعهدها البشرية فى تاريخها . فما إن أخذت هذه المخترعات مكانها من الوجود وغيرت وظائفها وتوزعتها الدول كل على قدرها ، حتى تجاوبت نذر الحروب ، فشهد الناس تلك المخترعات الجهنمية تصب الحديد والنار فى البحر والجو، وفى الأرياف والأمصار ، وفى كل بقعة من البقاع ، حتى لم يبق بها ملاذ يعتصم به النساء والولدان ؛ وأنى يكون ملاذ وقد سلطت الطائرات على الناس تمطرهم بوابل من القذائف بلا تمييز بين محارب ومسالم ، وشيخ وشاب ، وسليم ومريض ، وبلا رقيب ولا محاسب ، وسلطت الغواصات والطرادات على مراكب المسافرين وسفن التجارة فى البحار تغرق وتحرق ما تظفر به من غير مبالاة بما تحمل من إنسان أو بضاعة .

وجعلت السيارات تنقل عدد الحرب وعتاده ، وتحمل أوزارا من الذخيرة والجنود الى ميادين الحرب أو الى المجازر البشرية التى أحدثتها المدنية المادية ، وحولت المصانع بأنواعها الى مصانع حربية ، وزاحمت مظاهر الحرب مظاهر السلام ، حتى أصبح العالم كله فى تناحر وصيال

كان الناس الى ما قبل ربع قرن يعرفون أن معنى الحرب أن جنود الأمتين المتخاصمتين يقتتلون فى ساحات معينة ، فمن هزم خصمه أملى عليه الشروط التى يرضاها ، لا أن يصبح جميع أفراد الأمم فى خطوط النار حتى الجرحى والزمنى والنساء والأطفال ، وكانوا يعرفون أن هناك معاهدات تحترم ، وقوانين حربية لا تنقض، تحترم فيها حياة الزمنى والجرحى والنساء والولدان . ولكننا لم نعتم أن رأينا الحرب قد انقلبت الى تناحر حيوانى بين الجماعات قد أهدرت فيها هذه

النظم ، ثم انقضت تلك الحروب وخلفت الفوضى فى نواح كثيرة بدرجة كبيرة حتى فشا الالحاد والزندقة ، وتدهورت الأخلاق ، فشاع التهتك بين الرجال والنساء ، وتمردوا على العادات الصالحة والتقاليد الكريمة ، وأسىء فهم الحرية ، نخيل لأهل الأهواء أن كل منكر يمكن أن يرتكب باسم الحرية ، وتحلل الناس من الفضائل باسم المدنيــة ، وانعكست موازين الأشياء فى نظر النـاس ، فصار التـدين رجعية ، والاحتياط لصيانة العرض رجعية ، ومراقبة الأبناء فى تربيتهم رجعية ، وهكذا عملت المدنية المادية فى الأمم عمل السوس ينخر فى العظام ، حتى تهدم كيانها ، وانتقض بنيانها ، ثم استفاق عقلاء الأمم على أنات الألم ، وصيحات الفزع من هذه الأحوال ، وحاولوا جبر الصدع ، ورم الرث ، فعقدت المؤتمرات للنظر فيما أعقبه الحرب من هذا التطور الشديد الخطر على الاجتماع ، وعلى السلام العام ، رجاء توجيهه الوجهة النافعة للبشرية .

وفى هذه الأثناء كانت المخترعات تسير فى طريق الإتقان والـكمال ، وكان أسرعها سيرا فى هذا الطريق المخترعات الحربية ، وكان كثير من الأمم فى غفلة عما وراء ذلك التقدم من خطر وشر ، وكانت تعلل النفوس بسلام يطول أمده ويحلو مذاقه ، وبينما تسبح الأمم فى هذا الخيال إذا الحرب الحاضرة تقرعهم قارعتها ، وتقوم عليهم قيامتها ، وإذا هم يسمعون ويشاهدون من الأخطار والأهوال ما يقصر دون وصفه الخيال .

لهذا أجمع العقلاء بعد ما بلوا هذه المدنية المادية وابتلوا بها ، أنها قد أفلست فى إسعاد البشرية ، وذهبوا فى تعليل ذلك مذاهب شتى ، أقربها الى الصواب أن تلك المدنية إنما أفلست لأنها فقدت أهم العناصر للوصول الى هذه الغاية : وهو العنصر الروحى ، أو عنصر الدين ؛ فالمدنية إن لم تنتظم هذا العنصر فلن تصل الى غايتها أبدا . ذلك أن الدين يطهر النفوس من الأدران والأضغان ، ويكسر شرة الأطماع ، ويحرم التطاول والطغيان ، ويزيل الفوارق بين الأجناس والألوان ، وينظم العلاقات بين الأفراد والجماعات ، ويقيمها على أسس العدل والمحبة والتعاون ، ويحرم سفك الدماء إلا بحق ، لا لمجرد الهوى والتسلط ، ويريح النفوس القلقة مما تراه من التفاوت فى الأرزاق والدرجات ، ويندب الى المثل العليا فى الفضائل والآداب . تلك هى بعض مزايا الدين الذى تنبه العقلاء بعد أن صهرتهم المحن وكرثتهم الخطوب الى وجـوب توافره فى بناء المدنية .

وقد يكون مما يؤذن بالخير ويبعث على الأمل فى المستقبل القـريب ، أن شعور هؤلاء لا يزال فى ازدياد . وفى الظن أنه لا تنجلى الظلمات الحاضرة حتى يستتم يقينهم بضرورة الدين كعنصر هام فى مدنية يجب أن يسودها الأمن والسلام ؟

أبو الوفا المراغى

الساعات الرهيبة

فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم

حياة محمد صلى الله عليه وسلم حافلة بالساعات الرهيبة . وماظنك برجل قام يدعو الى التوحيد فى قوم ألفوا عبادة الأصنام ، وورثوا الشرك كابرا عن كابر ؟

كان هذا الرسول الكريم فى قلة من أتباعه وسط جماهير من الطغاة تألبوا عليه ، وكادوا له ، وفعلوا به الأفاعيل .

خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف فأعرض عنه أشرافهم ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط . فلما رأى ما رأى رفع رأسه الى السماء وقال : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى » . فهذه ساعة من الساعات الرهيبة فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما استيأس من قريش بعد أن لقى ما لقى من أذاهم ، استنصر أهل يثرب من الأوس والخزرج فنصروه وبايعوه . فلما علمت قريش أنه صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنصار ، وأن أصحابه بمكة قد لحقوا بهم ، خافوا من خروجه الى المدينة ، فاجتمعوا واتفقوا على أن يقتلوه ؛ فأزمع الهجرة وأمر عليا أن ينام فى فراشه ، وخرج الى دار أبى بكر ، وكان ما كان من صحبة أبى بكر إياه ، وإقامتهما أياما فى غار بجبل ثور ، ثم خروجهما الى المدينة ، وإرسال قريش سراقة بن مالك فى إثرهما ؛ فكانت هذه من الساعات الرهيبة فى حياة محمد .

ثم كانت الوقائع بين محمد وبين قريش ، وأولها وقعة بدر الكبرى ، حيث أقبلت قريش فى تسعمائة وخمسين رجلا ، فلما رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن معه إلا نحو ثلاثمائة قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونخرها تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى » . فهذه ساعة من أشد الساعات رهبة فى حياة محمد .

وكانت غزوة أحد ، وكان من حديثها أن اجتمعت قريش فى ثلاثة آلاف تحت قيادة أبى سفيان بن حرب ، وساروا من مكة حتى نزلوا ذا الحليفة مقابل المدينة ، فخرج محمد صلى الله عليه وسلم فى ألف من الصحابة الى أن صار بين المدينة وأحد ، فانخذل عنه عبد الله بن أبىّ المنافق فى ثلث الناس ، ونزل محمد ومن بقى من الشعب من أحد وجعل ظهره الى أحد ، ثم كانت الواقعة ؛ فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قامت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان فى النسوة اللاتى معها وضربن الدفوف خلف الرجال ، وهند تقول :

ويها بنى عبد الدارْ ويها حماة الأدبارْ ضرباً بكلٍّ بتارْ

وقتل رجل من المشركين اسمه قمئة مصعب بن عمير حامل راية رسول الله وهو يظن أنه رسول الله ، فقال لقريش : « إنى قتلت محمداً » . ووقع الصراخ أن محمداً قتل ، فانكشف المسلمون ، وأصاب فيهم العدو . وكان يوم بلاء على المسلمين استشهد فيه منهم سبعون رجلا ، ووصل العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصابته حجارتهم حتى وقع ، وأصيبت رباعيته ، وشج فى وجهه ، وكلمت شفته ، وجعل الدم يسيل على وجهه . ثم صعد أبو سفيان الجبل وصرخ بأعلى صوته وقال : « الحرب سجال ، يوم بيوم بدر ، أعل هبل » . فهذه أيضا ساعة من الساعات الرهيبة فى حياة محمد .

وجاء بعد ذلك نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، فلما فتحت مكة ، تجمعت هوازن بنسائهم وأولادهم وأموالهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانضمت إليهم ثقيف (وهم أهل الطائف) ، وبنو سعد بن بكر ، وحضر مع بنى جشم دُريد بن الصمة الشاعر الفارسى المشهور فى الجاهلية ، وهو إذ ذاك شيخ كبير قد جاوز المائة ، ولكنهم حملوه معهم تيمناً برأيه .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم خرج من مكة وخرج معه اثنا عشر ألفا من أهل مكة وعشرة آلاف كانت معه يوم الفتح . فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين والمشركون بأوطاس ، وقال رجل من المسلمين لما رأى كثرة جيش النبى : « لن يغلب هؤلاء من قلة » . وفى ذلك نزل قوله تعالى : « ويوم حُنَـيْن إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا » . فلما التقوا انكشف المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين فى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ، فنادى عمه العباس فى الناس يطلب إليهم العودة الى الدفاع عن دينهم ونبيهم ، فرجعوا واقتتلوا قتالا شديداً ، فحقت الهزيمة على المشركين ، ونصر الله المسلمين . ففى هذه الوقعة أيضا ساعة رهيبة .

ولكن أية هذه الساعات أشدها رهبة فى حياة محمد ؟ أهى ساعة تسفيهه وسبه فى الطائف من سفهاء ثقيف ؟ أم هى ساعة خروجه من مكة وقد ترصدوا له ، مجمعين على قتله وإهدار دمه ؟ أم هى ساعة أدركه سراقة بن مالك فى طريقه هو وصاحبه الى المدينة ؟ أم هى ساعة أقبلت عليه قريش بخيلها ورجلها وخيلائها وفخرها يوم بدر ؟ أم هى ساعة أُحد يوم كسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وكلمت شفته ؟ أم هى ساعة حنين يوم انكشف المسلمون عنه فثبت حتى أيده الله بنصره ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجب علينا أن نعرف أى رجل من الرجال كان محمد ؟

لم يكن محمد رجلا عظيما وحسب ، ولكنه كان المثل الأعلى للعظمة ، بل المثل الأعلى للكمال

الإنسانى بأدق معانيه . كان حكيما بل كان المثل الأعلى للحكمة ، وكان مؤمنا بالله بل كان المثل الأعلى للإيمان : كان يغضب لله ويرضى لله ، ويحب لله وفى الله ، ويكره لله وفى الله . كان لا يخشى أحدا إلا الله ، ولا يرهب أحدا غير الله . كان كل همه وقصارى إرادته وعزيمته أن يبلغ الرسالة ، وأن يعلى كلمة الله ، وأن ينشر هذا الدين الذى بعث به رحمة للعالمين .

انظر الى دعائه يوم أغرت به ثقيف سفهاءها وتدبر معانى هذا الدعاء ، قال : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى » . فهذا رجل لا يبالى غضب الناس بل يبالى غضب الله ، ولا يستعين بأحد غير الله ، ولا يشكو ضعف قوته وقلة حيلته إلا لله .

ثم انظر الى قوله يوم بدر وقد أقبلت قريش بخيلها ورجالها ، وكبريائها ، وخيلائها ، وليس معه يومئذ من الأنصار والمهاجرين إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، ووراءه فى يثرب جمهرة من المنافقين على رأسهم عبد الله بن أبىّ ابن سلول يكيدون له ويتربصون به الدوائر . انظر فيما قال فى هذا اليوم : نظر الى المشركين وما كانوا فيه من قوة فقال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت فى خيلائها ونخرها تكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى » ، فلما تزاحف القوم قال : « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض ، اللهم أنجز لى ما وعدتنى » .

من عبارة هذا الدعاء نستنتج أن أشد الساعات رهبة فى حياة محمد هى تلك الساعة الرهيبة التى كانت فيصلا بين الاسلام والشرك . إن محمداً كان يخشى أن تهلك هذه العصابة ، ويظن أنها إن هلكت فلن يُعبَد الله بعدها فى الأرض ، فهو لا يخاف الموت والهلاك على نفسه وأصحابه حبا فى الحياة لذاتها ، ولكنه يخاف الموت والهلاك لأن فيهما القضاء على الاسلام وعلى عبادة الله سبحانه وتعالى فى الأرض .

فإذا قال قائل : « أية ساعة هى أرهب الساعات فى حياة محمد ؟ قلنا : هى ساعة الزحف يوم بدر ، وهى الساعة التى أعقبها النصر على قريش ، فكانت فاتحة مجد الاسلام وإيذانا بشروق شمسه ، وأفول نجم الوثنية والشرك أبد الآبدين ودهر الداهرين ؟

مصطفى عبد الحميد
حقوقى

المتألهون والادب (١)

كان المجتمع العربى قبل الإسلام يمج بألوان متباينة من الفوضى والهمجية ، ويطفح بضروب شتى من السفاهة والضلالة ، ويفيض بالمخزيات التى تنبو منها العقول السليمة ، وتنفر عنها الطباع المستقيمة ؛ فمن وأد بنات خوف عار أو فاقة ، ومن استباحة محارم تلبية لسلطان هوى متغلب أو شهوة جامحة ، ومن معاقرة خمور إشباعا لنفوس متعطشة الى المجانة والخلاعة ، ومن شنّ حروب تزهق الأنفس وتبيد الثمرات لقتل جمل أو ناقة ، ومن تأليه حجر أو نجم استجابة لمرض فى العقول ونقص فى الحلوم . . . !

وسط هذا الجو المكفهر ، وتحت هذه السماء الملبدة بالغيوم ، وفوق هاتيك البقاع التى استشرى فيها الفساد ، وانتشر الضلال ، وعمت الجهالة ، وغلبت السفاهة ، ورفع الشرك عقيرته ، أشرقت شموس الهداية ، وسطعت كواكب العرفان فى نفوس آحاد صفت منها العقول ، واستنارت الأفكار ، ورجحت الآراء ، فاهتدت بفطرتها الى أن للكون ربا رفع السماء وزينها بالنجوم ، وبسط الأرض وكساها بالنبات ؛ فلا ريب أن كان ذلك النفر منبعا صافيا عذبا وسط هذه الصحراء المقفرة التى تتحرق سمائمها ، وتتوقد هواجرها .

وقصدنا من هذا الموضوع أن نميط اللثام ونكشف الحجاب عن هؤلاء ، وأن نعرض للقارئ صورة صحيحة من أدبهم شعرا ونثرا وحكمة ومثلا ؛ وأن نبرز ما حف به الغموض وحاطه الاضطراب ، فى أحسن المعارض وأدقها ، متوخين التحقيق ، ومستمسكين بأوثق المصادر ما وسعتنا الطاقة وواتتنا الجهود ؛ وسواء لدينا أكان تأله المتأله من وحى عقل وإلهام طبع ، أم من أثر شريعة وهدى سماء .

فمن هؤلاء المتألهين الذين جمعوا بين الشعر والخطابة :

١ — قس بن ساعدة الإيادى .

نسبه : وللمؤرخين هنا اضطراب لم نشهده فى غير قس . وأياما كان فقد أجمع النسابون أنه من إياد ؛ وقد كانت قبيلة إياد من القبائل التى اشتهرت بالخطابة والفصاحة وعلوّ الكعب فى اللسن والبيان ، حتى ضربت بخطبائها الأمثال . يروى الجاحظ فى صفة خطبائها قول القائل .

يرمون بالخطب الطوال وتارة وحى الملاحظ خيفة الرُّقباء

---

(١) يقال : تأله الرجل أى تعبد وتنسك . أوادعى الالوهية ، وليس هذا المعنى مقصودا هنا .

ذكر أبو حاتم السجستانى قسا فى المعمَّرين ، وقال : إنه عاش ثلاثمائة وثمانين سنة ، وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال المرزبانى : ذكر كثير من أهل العلم أنه عاش ستمائة سنة ، ونقل الأبشيهى فى كتاب المستطرف أنه عاش سبعمائة سنة . تقرأ ذلك فى الكتب ثم تجد الى جانب هذا اختلافا فى صحبته للرسول أوعدم صحبته ، فيقول الذهبى : قس بن ساعدة أورده ابن شاهين وعبدان فى الصحابة . ويقول ابن حجر فى الإصابة : ذكره أبو على بن السكن وابن شاهين وعبدان المروزى وأبو موسى فى الصحابة . وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة . وجاء فى سيرة ابن سيد الناس بسنده الى ابن عباس رضى الله عنه قال : « قدم الجارود بن عبد الله وكان سيدا فى قومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذى بعثك بالحق لقد وجدت صفتك فى الإنجيل ، ولقد بشر بك ابن البتول ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . قال : فآمن الجارود وآمن من قومه كل سيد . فسر النبى عليه السلام بهم وقال : يا جارود هل فى جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا ؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله وأنا من بين القوم كنت أقفو أثره : كان من أوساط العرب فصيحا ، عُمِّر سبعمائة سنة ، أدرك من الحواريين سمعان ... الخ . فقال له النبى : على رسلك يا جارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام ما أظن أنى أحفظه . . . الخ » .

والذى نرجحه : أنه كان من المعمَّرين ، ولكنه تعمير معقول يزيد عن المائة ولا يبلغ المائتين ، تلك هى السن التى عرفت للمعمرين ، كما أننا نؤمن بأنه مات قبل البعثة ولم تكن له بالرسول صحبة ، وإن كان رآه هو أو أبو بكر يخطب على جمل أورق بسوق عكاظ حَلبَةِ العرب وميدان سباقهم فى اللسن والبيان .

حياته وعقيدته :

عماد الباحثين فى التعريف بالجاهليين إنما هو أثرهم الكلامى من شعر أو نثر ؛ ونحن إذا رجعنا الى آثار قس بن ساعدة نجدها عاجزة عن تصويره فى أكمل الصور وأجلاها ، لقلة ما وصلنا منها ، ولكونه مرويا على وتيرة واحدة ، وفى غرض واحد وهو الغرض الدينى . وقد ذكر القس السورى الأديب شيخو خبر الجارود بن عبد الله ووفوده على رسول الله من طريق آخر غير الذى ذكرناه آنفا ، قال : قيل إن الجارود بن عبد الله لما وفد فى وفد عبد القيس على الرسول ، وكان سيدا فى قومه ، معظما فى عشيرته ، فأسلم ، سأله محمد : يا جارود هل فى جماعة عبد القيس من يعرف لنا قسا ؟ قال : كلنا نعرفه ، وأنا كنت من بينهم أقفو أثره ، وأطلع خبره : كان قس سبطا من أسباط العرب ، صحيح النسب ، فصيحا ذا شيبة حسنة ، يتقفر القفار ، ولا تكنه دار ، ولا يقره قرار ، يتحسى فى تقفره بعض الطعام ، ويأنس بالوحوش والهوام ، يلبس

المسوح ، ويتبع السُّيّاح على منهاج المسيح ، لا يغير الرهبانية ، مقرا بالوحدانية ، تضرب بحكمته الأمثال ، وتكشف به الأهوال ، وتتبعه الأبدال ، أدرك رأس الحواريين سمعان . فهو أول من تأله من العرب ، وأعبد من تعبد من الحقب ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذر سوء المنقلب والمآب ، ووعظ بذكر الموت ، وأمر بالعمل قبل الفوت ، الحسن الألفاظ ، الخاطب بسوق عكاظ ، العارف بشرق وغرب ، ويابس ورطب ، وأجاج وعذب ، كأنى أنظر اليه والعرب بين يديه ، يقسم بالرب الذى هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول :

هاج للقلب من هواه ادّكار ... وليال خلالهن نهار

وجبال شوامخ راسيات ... وبحار مياههن غزار

ونجوم يحثها قمر الليـ ... ـل وشمس فى كل يوم تدار

ضوؤها يطمس العيون وإرعا ... دٌ شديد فى الخافقين مثار

وغلام وأشمط ورضيع ... كلهم فى التراب يوما يزار

وقصور مشيدة حوت الخـ ... ـير وأخرى خوت فهن قفار

وكثير مما تقصر عنه ... حدسة الناظر الذى لا يحار

والذى قد ذكرت دل على الله ... نفوسا لها هدى واعتبار

فقال محمد : يرحم الله قسا ! إنى لأرجو أن يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

فذلك الخبر ـ إن صح ـ ولا بعد فى صحته جملة لا تفصيلا ، يعطينا صورة تقريبية عن حياة قس وعقيدته الدينية ، فنقف منه على أنه كان زاهدا فى الحياة راغبا عنها ، ذا بصر بالحياة ودراية بالمجتمعات ، مقرا بالوحدانية موقنا بالبعث والحساب . وقد أخطأ القس شيخو فى عده من شعراء النصرانية ؛ فان خدعه قول الجارود : « ويتبع السياح على منهاج المسيح » قلنا له : ليس لك من هذا بمتمسك ؛ فان ذوى الفطر السليمة كثيرا ما يهتدون بعقولهم الى توحيد الله والإيمان به ، حتى ليظن بهم أنهم يقتفون شريعة من الشرائع . وإنما شبه الجارود قسا بعيسى فى السياح فى الأرض ولبسه المسوح ، وأولى من هذا القول بالاعتبار أنه كان من الحنفاء الذين عبدوا الله على دين إبراهيم دون كتاب يقرأ أو نص يحتذى .

هذا وقد كان قس معظما فى عشيرته وقومه ، فيروون أنه كان يفد على قيصر ويزوره ، فقال له يوما : ما أفضل العقل ؟ قال : معرفة المرء بنفسه . قال : فما أفضل العلم ؟ قال : وقوف المرء عند علمه . قال : فما أفضل المروءة ؟ قال : استبقاء الرجل ماء وجهه . قال : فما أفضل المال ؟ قال : ما قضى به الحقوق .

أولياته :

يقال : إنه أول من تأله من العرب (١) ، وأول من علا على شرف وخطب عليه ، وأول من قال فى كلامه « أما بعد » ، وأول من قال : البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، وأول من اتكأ عند خطبته على سيف أو عصا ، وأول من كتب من فلان الى فلان .

تلك أوليات ينسبونها لقس ويؤكدون أنه صاحبها . ونحن إذا تأملنا قليلا وجدنا ذلك إسرافا ومبالغة ؛ فليس لأحد أن يقطع ـ مهما أوتى من قوة البحث ـ بنسبة هذه الأمور جميعها الى شخص معين ؛ فمعرفة الخالق أمر لم يخل منه عصر ، وطبيعة الجماهير تحتم على الخطيب أن يعلوعنهم حتى يتبينوه وحتى يستطيع إسماعهم ... الخ . ولكن كثيرا ما تداخل الغفلة المؤرخين فيتقبلون كل خبر دون نقد يعين على كشف الحقائق وينير الطريق لمن بعدهم من الباحثين .

نكتفى فى هذا العدد بهذا القدر مرجئين الى ما يليه الكلام فى أدب قس وحكمته ؟

أحمد ابراهيم موسى
تخصص البلاغة والأدب

(١) تأله معناه تعبد وتنسك . ومن معانيه ادعى الالوهية ، وليس مقصودا هنا .

احتمال القادة وتجاوزهم

قال أحد جلساء المنصور له ، وقد أراد عقوبة رجل : يا أمير المؤمنين إن الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، والمتفضل قد جاوز حد المنصف ، ونحن نعيذ أمير المؤمنين أن يرضى لنفسه أوكس النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين .

وجرى بين أبى مسلم صاحب الدعوة للعباسيين وقائد من قواده كلام ، فبدرت من القائد كلمة فيها بعض الغلط ، ثم ندم على ما كان منه ، فجعل يتضرع ويتنصل اليه .

فقال له أبو مسلم : لا عليك ، لسان سبق ، ووهم أخطأ ، وإنما الغضب شيطان ، وإنما جرأتك علىّ لطول احتمالى عنك . فإن كنت للذنب متعمدا فقد شاركتك فيه ، وإن كنت مغلوبا فإن العذر يسعك ، وقد عفونا على كل حال .

فقال القائد : أصلح الله الأمير ، إن عفو مثلك لا يكون غرورا . فان عظم الذنب لا يدع قلبى يسكن . وألح فى الاعتذار .

فقال له أبو مسلم : عجبا لك إنك أسأت فأحسنت ، فلما أحسنت أأسىء .

مذاهب العرب فى كلامهم

— ٣ —

طريتهم فى القول والتفكر

أخذ العرب قسطهم فى القرون الوسطى من العلم والمعرفة ، وانبعث نورهم يضىء الآفاق قريبها وسحيقها ، فأخذت عنهم الأمم تراث الفكر القديم مما خلف الروم وفارس وما ابتدعوه من عند أنفسهم ، ولكن تراث الروم كان بينهم أظهر لتعلق أمرائهم ورؤسائهم بالحكمة والفلسفة ، فترجموا ما وصل الى أيديهم وتفهموه ، ثم شرحوه وعلقوا عليه ، فوافقوا بعضا وخالفوا بعضا ، وجال فى ذلك فلاسفتهم من العرب والمستعربين . هذا الاختلاط فى ثروة الفكر حمل بعض العلماء من المتأخرين على أن يوازنوا بين العرب والروم فى قوة التفكير والتصور ، ولكنهم وضعوا أمامهم صورة البدوى قبل الاسلام ووازنوها بعصر سقراط وأرسطو ووصلوا الى حكم خاطئ قذفوا به فى وجه التاريخ ، فقالوا : ليس للعربى من عمق التصور ودقة التفكير ما لغيره من أمة يونان . غير أن هذه الموازنة تحمل فى أطباقها ظلمها ، فانها لم تعرف من دعم الحق وأسسه ما يجب أن يتوافر فى موازنة سليمة عادلة . فاذا كانت أمة العرب تشبه أمة الروم فى النشأة والبداوة والأخلاق وطبيعة البلاد فانه يجب أن تقوم الموازنة بين عهدين متماثلين رقيا وانحطاطا ، فاذا حكمت أن البدوى فى تهامة ونجد وحجاز واليمن كان ساذجا لا يصل بتفكيره الى أبعد مما يطبق عليه حواسه ، فقل مثل ذلك عن الأثينى والاسبرطى فى إبان الجهالة الأولى ، ولا تحفلن بالياذة هومير وأمثالها فانها لم تنحدر عن كبير فكر ، وبدأت قصة صغيرة لشخص خيالى فأخذ الزمن يزيد فيها فى مراحله المتعددة حتى وصلت الى ما هى عليه ، فهى من هذه الناحية تشبه قصة عنترة . فكلتاهما قد صنعت للكسب والتسلية والإشادة بمفاخر القدماء ، وصيغت فى قوالب من الشعر وبدأت صغيرة ثم كبرت ، وجاءت معانيهما فى الشجاعة التى لم يألف الناس مثلها ، وإن كان هناك بعض الفروق كضخامة الأولى ، ووجود عنترة ، بخلاف بطل طرواده ، كما افترقا فى الأسلوب وفى بعض المعانى مما لسنا بصدد استقصائه هنا ، وإنما يهمنا أن نقول إن ما نسب الى اليونان فى بداوتهم لايدل على كبير فكر ، ولم تعجز العرب عن عمل مثله .

فإذا اردت أن توازن بين عصرين ناهضين ، ووقعت على عهد سقراط وفيثاغورس وأضرابهما ، فيجب أن تنظر الى عصور العرب التى أنبتت الخليل الفراهيدى وابن الصباح الكندى وابن رضوان المصرى وبنى الحسن وغيرهم من فلاسفة العرب ، وتسلك فى سلكهم من أخذ بتعاليمهم من فلاسفة الموالى كالفارابى وابن سينا وابن طفيل وغيرهم ، فإذا صنعت هذا فإنك واجد للعرب فكرا وحكمة ، وفلسفة ونبوغا ، بل ستجد لهم بجانب الفلسفة اختراعا فى الرياضة

والهيئة والهندسة وقوانين الثقل وعلم الحيل والكيمياء والطب والجراحة والتقطير والتصعيد وتركيب الأدوية والرصد وتخطيط البلدان ، واخترعوا الساعة والبندول والبوصلة وبيت الإبرة ، وأخذ الفرنجة عنهم أرقام الأعداد والجبر والمقابلة ، وغير ذلك مما يدل على أن العرب من الفكر والعلم بمكان كريم . أما العربى قبل الاسلام فلا يطلب منه وهو أمى ضارب فى العراء أن يعلم أو يفكر فى غير ما يحيط به ، فقد كان يفتح عينيه فى الأصباح فلا يجد إلا السماء من فوقه والصحراء من تحته ، وناقته أمامه وسلاحه بجانبه ، فإذا هب فضجيج الرعاء وهمهمة الخيل ورغاء الابل وثغاء الغنم وصريخ الخليط للنجدة أو للمرعى ، فإذا أخذ عدته وضرب فى الصحراء إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فما الذى يعدل به الى البحث والتفكير والتعقيد والتنقير وحياته قفزة هنا ووثبة هناك ، إن عرّس يوماً فراحل غدا ، وإن رعى الصيف فى وادٍ أكل الشتاء فى آخر ؟ فهو غير مستقر فى عيشه ، غير مطمئن فى تفكيره ، يتنقل به تنقل الحاجة والمكان ، والرؤيا والزمان ، وتبع ذلك طريقته فى القول ، فقد جاء متنقلا من حالة الى حالة ومن مكان الى مكان ، لا يعرف للموضوع وحدة ، ولا للغرض زماماً ، بينما تراه يحدث عن الأرض إذا به يقفز الى السماء لا تربط شعره فكرة ولا تجمع نثيره جامعة ، فهو يرسل من نفسه سورة ما تفرق أمام حسه.

قد يكون ميل العربى الى أن يكون حرا طليقا لا يقيده قيد ولا يحتجزه حاجز من أكبر الأسباب التى جعلته يسلك سبيله ، كما أن ميله الى الراحة الفكرية قد جعله ينحو هذا المنحى ، فإن قيام الفكر على موضوع واحد واحتباسه فيه زمنا يجهده أى إجهاد ، ويبعث اليه السآمة والملل ، وكيفما كان الشأن فى ذلك فان العربى قبل الاسلام يتنقل فى قوله وتفكيره ، فلا يستقر فى مكان ولا تربطه فكرة ، حتى إنه قد يرسل أبياته مستقلة لا يحتاج البيت منها الى غيره فى تمام معناه.

فإذا أردت أن أضرب لك مثلا ، فهذا شيخهم امرؤ القيس قد بدأ معلقته بذكر حبيبته والديار ، وعرج على الليل والخيل ووصف الصيد ، وانتقل الى السماء فأخذ يصف البرق والمطر ، وذكر أبانا وما أحاط به ، وما انكشف السيل عنه ، ولم يعد الى ذكر حبيبته التى ساق القصيد من أجلها ، فهذه النقل الكثيرة والاتجاهات المختلفة تدل على طريقة التفكير عندهم ، ولم ينل هذا التنقل من جودة ما يقولون ، فان الصورة التى يعرضون لها قد تجىء على صغرها واقتضابها من أروع ما يرى الإنسان فى شعر ونثر ، وهذا وصف المرئى لجواده مع اقتصاده فيه قد جاء مضرب الأمثال حتى يومنا هذا ، وليس هذا التنقل فى القول والضرب فيه يمنة وشأمة موقوفا على الشعر وحده ، وإنما النثير قد مشى فيه على غراره ، فالعرب هم العرب ولم يدخل عليهم ما يصرفهم عن طريقتهم . قام أكثم ابن صيفى أمام كسرى فقال : « إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعا ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها . الصدق منجاة والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء . آفة الرأى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر . حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة .

إصلاح فساد الرعية خير من إصلاح فساد الراعى . من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء . شر البلاد بلاد لا أميربها ، وشر الملوك من خافه البرىء . المرء يعجز لا محالة . أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة . أحق الجنود بالنصر من حسنت سريرته . يكفيك من الزاد ما بلغك المحل . حسبك من شر سماعه . الصمت حكم وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز . من شدّد نفّر ومن تراخ تألف » .

لم يبق لنا الرواة ما يدل على الغرض الواضح من هذه الخطبة . ويظهر أنها قيلت لما اختصت به ألسنة العرب من الحكمة وفصل الخطاب ، فان وفد النعمان لكسرى تكلم فى غير ناحية من فضائل العرب . أما الشعر فى جملته فانهم كادوا يجعلون كل بيت فيه مستقلا كما قدمت ، يبدءونه بالغزل والنسيب أو يصفون الحيوان والطبيعة ، أو يبكون الديار والدمن ، أو يخاطبون النجم والشجر ، الى غير ذلك مما تقع عليه أبصارهم أو ينال تقديرهم ، وقد يطيلون فى ذلك إطالة تملك جمهرة ما يقولون .

وقد يعرضون للغرض فى أبيات قليلة ثم يفرون منه الى نواح أخرى ، كما درجت عليه طبيعتهم المتنقلة التى لا تعرف الاحتباس ، وإنما تتنقل وتستطرد ، وربما لا تعود الى الغرض مرة أخرى ، فرجل البادية ينظر أمامه ويتكلم لا يهمه بعد ذلك أن يقع التناسق وتنسجم الفكرة أو تتفرق الأواصر وتنفك العرى ، غير أن هذا التنقل والوثوب هنا وهناك لم يكن مطردا فى كل ما يقولون منتظما جميع ما ينطقون ، وإنما كان فى جملته يقع فيما يجىء للتسلية والتفاصح أو للمدح والذم أو للوصف والغزل ، أما ما يقع موقع الإرشاد والزهد أو موقع الحماسة والفخر أو يأخذ مأخذ الترهيب والترغيب فإن وحدة الموضوع تدنى أطرافه والتناسق يجمع أشتاته ، وتكون جميع الكلمات للموضوع لباسا ولمعناه غراساً .

وهاهى ذى كلماتهم فى الرشد والحماسة والفخر والزهادة ، مما قال الأعشى والنابغة وزهير وابن كلثوم وغيرهم ، فالقوم كانوا يتنقلون ويتواثبون فى الجملة فيما ليس ذا بال ، فاذا جد الجد وحزب الأمر جعلوا كلامهم فنا واحدا ، وصفا قائما ، وأخذت كل كلمة بحجزة أختها ، وأمسك كل معنى برقبة أخيه . غير أن العلماء والنقاد إنما يبنون أحكامهم بالكثرة القائمة ، والجمهرة الدائرة ، وجمهور كلام القوم فى النقلة والحركة والوثوب هنا والاستطراد هناك ، حتى كأن القصيدة الواحدة تنتظم موضوعات عدة . هذه الحالة قد أورثها العربى أولاده ومن جاء بعده ، فدرجوا عليها ونشأوا فى ظلها ، ونطقوا بمثلها ، فجاءت عباراتهم وأخيلتهم وأفكارهم وتقاربهم وتباعدهم وفق ما ورثوا وعلى غرار ما ألفوا ، فلا تجد منهم من نبا ، ولا من اتخذ له فى القول مذهبا ، قد سلخوا فى ذلك أيام ما قبل الاسلام وعصر بنى أمية حتى كانت الدولة العباسية ؟

محمد ناصف

التجديد والمجددون فى الاسلام

الامام الأعظم أبو حنيفة — دراسات فى مذهبه

الحيل والمخارج والتحامل على أبى حنيفة بسببها :

أخذ بعضهم على أبى حنيفة أنه يجيز الحيل والمخارج ، وأنها أصل من أصول مذهبه ؛ وهذا الكلام على إطلاقه غير صحيح ، فإن من الحيل ما هو محرم فلا يجيزه إمام من أئمة المسلمين ، ومنها ما هو جائز ممدوح ؛ فأما الحيل المحرمة فهى التى يتحيل بها على إسقاط حكم شرعى ، ليصير الواجب غير واجب ، والمحرم حلالا ولو فى الظاهر ، مع أن الله تعالى إنما أوجب الواجبات ، وحرم المحرمات ، لما تتضمن من مصالح عباده فى معاشهم ومعادهم ، فإذا احتال الشخص على تحليل ما حرم الله ، وإسقاط ما فرض الله ، وتعطيل ما شرع الله ، كان ساعيا فى دين الله بالفساد .

لا يوجد أحد من المسلمين يقول بهذا الضرب من الحيل ، فكيف أبو حنيفة قدوة المسلمين ، وإمام الأئمة ، الذى ائتمنه المسلمون ، وعبدوا الله على مذهبه ، وعامل بعضهم بعضا بموجبه ؟ فامام هذا شأنه لا يجيز منها إلا ما يجيزه الشرع ، ولا يحرم منها إلا ما حرمه الشرع .

وهذا الامام محمد بن الحسن تلميذ أبى حنيفة وصاحبه يعبر عن وجهة نظر المذهب الحنفى فى الحيل فيقول : « ليس من أخلاق المؤمنين الفرار من أحكام الله تعالى بالحيل الموصلة الى إبطال الحقوق » . ويقول : « لا بأس بالحيل فيما يحل ويجوز ، وإنما الحيل شىء يتخلص به الرجل من الحرام ويخرج الى الحلال ، فما كان من هذا ونحوه فلا بأس به ، وإنما لا يجوز أن يحتال الرجل فى حق لرجل حتى يبطله ، أو يحتال فى باطل حتى يوهم أنه حق ، أو يحتال فى شىء حتى يدخل فيه شبهة ، وأما ما كان على السبيل الذى ذكرنا فلا بأس به » .

ويقول شمس الأئمة السرخسى : « إن الحيل فى الأحكام المخرّجة عن الامام الأعظم جائزة عند جمهور العلماء ، وإنما كره ذلك بعض المتعسفين لجهلهم ، وقلة تأملهم فى الكتاب والسنة . والدليل على جوازها من الكتاب قوله تعالى : « وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث » . هذا تعليم المخرج لأيوب عليه السلام عن يمينه التى حلفها ليضربن زوجته مائة سوط . وأما السنة فما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب لعروة بن مسعود فى شأن بنى قريظة : « فلعلنا أمرناهم بذلك » . فلما قال له عمر رضى الله عنه فى ذلك ، قال عليه الصلاة والسلام : « الحرب خدعة » وكان ذلك منه اكتساب حيلة ومخرج من الإثم بتقييد الكلام « بلعل » .

والآثار فى الحيل كثيرة ؛ فأصل الحيل والمخارج فى الشريعة مما لا شك فيه ، ولا يخلو منه مذهب . قال السرخسى : « إن ما يتخلص به الرجل من الحرام أو يتوصل به الى الحلال من الحيل فهو حسن ؛ وإنما يكره ذلك أن يحتال الرجل فى حق لرجل حتى يبطله ، أو فى باطل حتى يموهه ، أو فى حق حتى يدخل فيه شبهة ، فما كان على هـذا السبيل فلا يجوز » .

وقال ابن القيم ما مؤداه : إن الأئمة ذموا الحيل ، لأن فيها الاحتيال على إسقاط فرائض الله وإسقاط حقوق المسلمين ، واستحلال ما حرم الله ، ولا يجوز أن تنسب الى أحد من الأئمة ، ومن نسبها الى أحد منهم فهو جاهل بأصولهم ومقاديرهم ومنزلتهم فى الاسلام ، لأن نسبتها الى إمام قدح فى إمامته ، وذلك يتضمن القدح فى الأمة ، لأنها ائتمت بمن لا يصلح للامامة ، وهذا غير جائز ؛ ولا خلاف بين الأمة فى أنه لا يجوز النطق بكلمة الكفر لغرض من الأغراض إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان حقنا لدمه ؛ وهذا على مذهب أبى حنيفة وأصحابه أشد ، فإنهم لا يأذنون فى كلمات وأفعال دون ذلك بكثير ويقولون إنها كفر ، حتى قالوا : لو قال الكافر لرجل : إنى أريد أن أسلم ، فقال له : انتظر ساعة ، فقد كفر ، فكيف بالأمر بانشاء الكفر أو المحرم ؟ فالذين يفتون بالحيل المحرمة ليسوا بمعتدين بمذهب أحد من الأئمة ، وإن الأئمة أعلم بالله ورسوله ودينه ، وأتقى من أن يفتوا بهذه الحيل أو يبيحوا لأحد الإفتاء بها .

وأما الحيل التى خلصت من المحرم ولم توقع فى إثم ، ولم تخالف أصلا شرعيا ، فهى شرعية جائزة . قال الله تعالى : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » . أراد بالحيلة التخلص من الكفار ، أو تخليص المال منهم . وقال تعالى : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » . قال كثير من المفسرين : مخرجا مما ضاق على الناس . ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإمام محمد بن الحسن عن أبى حنيفة « أنه أتاه أخوان قد تزوجا بأختين ، فزفت كل امرأة منهما الى زوج أختها خطأ ، فدخل بها ولم يعلم ، ثم علم الحال لما أصبحا ، فذهبا الى أبى حنيفة وسألاه المخرج من ذلك ، فقال لهما : هل كل منكما راض بالتى دخل بها ؟ فقالا نعم ، فقال ليطلق كل منكما امرأته التى عقد عليها تطليقة واحدة ، ففعلا ، فقال : ليعقد كل منكما على المرأة التى دخل بها ، ففعلا . فقال : ليمض كل منكما الى أهله » .

قال بعض الأئمة : هذه الحيلة فى غاية اللطف ، فان المرأة التى دخل بها كل منهما كان ذلك بشبهة ، فله أن يتزوجها فى عدتها ، فإنه لا يصان الرجل عن نفسه ؛ وأمره أن يطلق تطليقة واحدة ، فانه لم يدخل بالتى طلقها ، فالتطليقة الواحدة تبينها فلا يملك ردها ، ولا عدة عليها منه ، فللآخر أن يتزوجها .

فهذا هو نوع الحيل التى يقول بها الحنفية ، وهى مخارج من المضايق حقا ، ولا تخالف أصلا من أصول الشريعة ، فلا حرج فى الشريعة ولا ضيق . والآيات والأحاديث الدالة على

ذلك كثيرة . فالحيل عند العلماء على أقسام بحسب الحامل عليها ، فإن توصل بها بطريق مباح الى إبطال حق ، أو إثبات باطل ، فهى حرام ، وإن توصل بها بطريق مباح الى إثبات حق ، أو دفع باطل ، فهى واجبة أو مستحبة ، وإن توصل بها بالطريقة المذكورة الى سلامة من وقوع فى مكروه فهى مستحبة أو مباحة ، وإن توصل بها الى ترك مندوب فهى مكروهة ؛ وعلى ذلك فالحيل تعتريها الأحكام الخمسة ، وهى الوجوب والحرمة والاباحة والكراهية والاستحباب.

الخلاصة : أن الحيلة إذا هدمت أصلا شرعيا ، أو ناقضت مصلحة شرعية ، فهى ملغاة ولايجوز الترخيص بها ؛ وما ليست كذلك فلا تلغى . فالحيل كما قال بعض المحققين ثلاثة أقسام : ملغاة بالاتفاق كحيلة المنافق فى إظهار الاسلام وإخفاء الكفر ، وغير ملغاة بالاتفاق كمن نطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان حقنا لدمه ؛ ونوع ثالث لم يتبين فيه بدليل قطعى إلحاقه بالقسم الأول ولا بالقسم الثانى ، وفى هذا النوع اضطربت أقوال العلماء وهو محل التنازع بين الحنفية وغيرهم ، ولذا قسمها الأئمة الى الأحكام الخمسة ، فمنها الجائز والحرام والمندوب والمكروه والواجب . أما الحيلة الشرعية فهى ما خلصت من المحرم ولم توقع فى إثم . وأبو حنيفة وأصحابه لايقولون إلا بهذه الحيل الشرعية ، وبها قال الأئمة ؛ فلا وجهة لمن آخذ الحنفية عليها ؟

السيد عفيفى

آداب السلام

قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أطيبوا الكلام ، وأفشوا السلام ، وأطعموا الايتام ، وصلوا بالليل والناس نيام » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أبخل الناس الذى يبخل بالسلام » .

وأتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : عليك السلام يا رسول الله . فقال رسول الله لا تقل عليك السلام فإنها تحية الموتى ، وقل السلام عليك .

ودخل رجل على رسول الله فقال له : أبى يقرئك السلام ، فقال عليك وعلى أبيك السلام .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يسلم الماشى على القاعد ، والراكب على الراجل ، والكبير على الصغير » .

وقال صاحب حرس عمر بن عبد العزيز : خرج عمر فى يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لا طئة ؛ فقمت إليه وسلمت عليه ، فقال : مه ! أنا واحد وأنتم جماعة ، السلام علىّ والرد عليكم ؛ ثم سلم ورددنا عليه ، ومشى فمشينا معه الى المسجد .

ودخل ميمون بن مهران على سليمان بن هشام وهو والى الجزيرة ، فقال : السلام عليكم . فقال له سليمان : ما منعك أن تسلم بالإمرة ، فقال ميمون : إنما يسلم على الوالى بالإمرة إن كان عنده الناس .

اثبات الروح الانسانية حسيا

أدلة جديدة على مقتضى الدستور العلمى

نأتى فى هـذا الفصل على طائفة أخرى مما جمعه الأستاذ الكبير ارنست بوزانو مدرس البسيكولوجيا فى جامعة تورينو فى كتابه خروج الروح من الجسد ثم عودتها إليه. وقد وضع هذه الطائفة نفسها بعنوان (حالات تجد فيها الشخصية الانسانية خارج الجسد فى جسم إثيرى) قال :

« إن الحالات المأثورة عن هذه الطائفة من المشاهدات تحدث أثناء النوم الطبيعى أو الصناعى ، وتحدث كذلك بتأثير المخدرات الجراحية ، وفى أحوال النوم المغناطيسى ، وفى أدوار الهذيان المرضى ، والإغماء ، والنقاهة ، والضعف العصبى ، والهبوط النفسى الخ . وهى تحدث نادرا فى شروط فيزيولوجية ونفسية عادية .

« فى هـذه الحالة الأخيرة تحدث تلك الظاهرة فى أثناء الراحة التامة للجسم ، ولا سيما فى البرهة التى تسبق أو تلى النوم مباشرة . وفى هـذه الحالة يكون الشعور بها مبهما وسريع الزوال . . .

ثم أخذ الأستاذ فى سرد الحوادث المؤيدة لقوله فقال :

« أقتبس هذه الحادثة من مجلة (اللايت) The hight الانجليزية ، وهى تدل على الشعور بخروج الروح من الجسم على أثر شم قليل من الكلوروفورم . فقد كتب الدكتور (جورج ويلد) لتلك المجلة ما يأتى :

« فى يوم من أيام سنة ١٨٧٤ اضطررت الى استنشاق الكلوروفورم ، لأتخلص من آلام شديدة أصابتنى بسبب مرور حصاة كلوية من الحالب . فما كدت أشمها حتى انقطع الألم فجأة ، ولكنى رأيت نفسى قد انتقلت على صورة روحية الى بعد يقدر بست أو سبع أقدام عن السرير الذى كنت عليه ، ورأيت جسمى ممتدا فوقه عادم الحراك وأنا واقف حياله أتأمل فيه .

« هذه الحالة وإن لم تدم إلا بضع ثوان ، فانها أقنعتنى بأنى قد شهدت انفصال صورتى الروحية عن جثمانى المادى » .

« فتحدثت فيما أصابنى الى أطباء آخرين ممن يكثرون استخدام الكلوروفورم ، فأخبرونى بأنهم كثيرا ماسمعوا من مرضاهم تنويها بمثل هذه الحادثة . فلم أكتف بذلك وقصدت الى مستشفى أمراض الأسنان ، فأكد لى أطباؤه بما يؤكده لهم مرضاهم من شهودهم لمثل هذه الحالة » .

« والذى رأيته أن هؤلاء جميعا متفقون على اعتبار هذه الحوادث من الأوهام . ولكنى

أنا لا أستطيع أن أقول مثل ما يقولون ، فقد جربت ذلك بنفسى ، وأنا على علم أكيد بأن هذه الحالة حقيقة واقعية وليست من الوهم المزعوم » .

وكتب الدكتور (فرنز هارتمان) فى مجلة The occult Review سنة ١٩٠٨ ما يلى :

« فى سنة ١٨٨٤ حينما كنت بمدينة كولومبو من جزيرة سيلان ، قصدت صحبة صديق لى ، أحد أطباء الأسنان لاقتلاع سن يؤلمنى ، فما كدت أستنشق الكلوروفورم حتى وقعت تحت تأثيره ورأيتنى واقفا خلف الكرسى الذى عليه جسمى . فكنت أنظر الى نفسى وأشعر بأنى أنا على الحالة الطبيعية ، وكنت أميز جميع الأشياء التى حولى ، وأسمع كل ما كان يقوله الموجودون هنالك . ولكنى مع هذا عندما حاولت تناول إحدى الآلات الموضوعة على المنضدة الصغيرة المجاورة للكرسى ، لم أفلح فى محاولتى ورأيت أصابعى تخترق الآلة .

« حصل بعد هذه الحادثة أن روحى انفصلت عن جسمى الطبيعى مرات ، وكان ذلك يحدث على ضربين مختلفين : أولهما كان يحدث مع بقاء جميع خصائصى الواعية فى جسمى المادى ، فكنت أرى جسمى الأثيرى ماثلا أمامى الى جانب سريرى . وثانيهما كان يحدث مع انتقال جميع خصائصى الواعية الى جسمى الأثيرى ، وفى هذه الحالة كنت أرى جثمانى المادى ممددا فى السرير ولا حراك به .

« ولم يحدث أنى انتقلت فى أثناء حدوث هذا الانفصال الى مسافات بعيدة ، أو على القليل أنى لم أحفظ فى ذاكرتى ذلك . ومع هذا فهذه المشاهدات تكفى فى إقناع من تحدث له بأن للانسان جسما أثيريا يصلح أن يقوم بنفسه مستقلا عن جسمه المادى .

« قد تتوجه الى الذى يتكلم فى أمر هذا الانفصال الروحانى عن تجربة شخصية ، إنكارات غير مستندة الى دليل ، من الذين لم يوفقوا الى مثلها ؛ فهذه الانكارات لا قيمة لها ، ولا ينبغى أن يلتفت اليها بحال من الأحوال ، كما لا ينبغى أن يعتد بانكار من لم يروا قط الخطوط الحديدية فيحاولون أن يدعوا استحالة وجودها » .

بعد أن سرد الأستاذ بوزانو المشاهدات التى تقدمت قال :

« قبل أن نسرد الحالات التى تشتمل على حوادث من الكشف والنظر من بعد ، يحسن بنا أن نورد مشاهدتين أخريين مشابهتين للتين تقدمتا ، ولكنهما أكثر دلالة على صحة الرأى الذى نؤيده هنا . فأقتبس المشاهدة الأولى من جريدة جمعية المباحث النفسية اللوندنية لسنة ١٩٢٩ وقد حصلت فى أثناء الحرب العالمية الماضية ، وقد أرسلها الذى حدثت له الى الأستاذ أوليفرلودج وهو الذى تولى نشرها بالجريدة المذكورة آنفا . قال صاحب المشاهدة وهو من المحاربين فى الحرب الماضية :

« تركنا (مونشييه) بعد الظهر ، وبعد أن سرنا سيرا مضنيا فى طريق موحلة اختلطت

حمأتها بذائب البرد حتى لا يستطيع الانسان أن يتقى فيهـا الزلق ، وصلنا الى (بومتز) من الميدان الفرنسى ليلا . ثم عاودنا السير بعد فترة قصيرة من الراحة قاصدين (ويللى) على خط النار ! وهناك دخلنا فى خندق متعرج خضنا منه فى ماء ووحل ، وكان طوله نحو ميل تخيل الينا أنه غير محدود . وكانت حمأته تصل الى ركبنا ، وفى تلك الأثناء كان ينفح وجوهنا البرد باستمرار ، فكنا والحالة هذه متأثرين بالبَرْد الى مخ عظامنا . وانتهينا أخيرا الى خط النار ، حيث دعينا لانجاد أورطة فرنسية فكنا فى أسوأ الخنادق حالا ، لم يتعهده أحد باصلاح منذ شهور ، وكان قد انهار فى نواح كثيرة منه فلم يكن يحمى رءوسنا من نار العدو . فكان من جميع جهاته يشبه حفرة تجمعت فيها أبوال الحيوانات . فصدر الأمر الى ه . والىّ أن نتولى الحراسة فيه . وكنا من فرط الاعياء بحيث لم نجد من نفسنا القوة على ندب سوء حظنا . وكنا مع ذلك جياعا ولا نملك ما نأكله ، ولا نقوى على إيقاد نار للاصطلاء بها ، وليس لدينا وعاء نسخن فيه ماء لأنفسنا ، ولا نجد قدر أصبع من أرض جافة لأجل أن نجلس عليها ، ولا ملجأ نخدع فيه جوعنا بتدخين قليل من التبغ . فكنت أنا وه . متفقين فى الرأى على أننا ما كنا لنتصور أن آلاما كالتى منينا بها تتأتى أن تجتمع على كائن حى ، وكنا قد ذقنا ليالى من العذاب لم تطف بخيال أحد .

« مرت علينا ساعات فى هذا الموقف الهائل ، وإذا بتبدل ذريع حدث فى حالتى لم أكن أتوقعه : فقد شعرت مفاجأة شعورا مطلقا بأنى خارج جسمى ، وتأكدت بأن أنيتى الحقيقية ووعيي وروحى — ولا عبرة بالألفاظ — قد تحررت كل التحرر من جسمى المادى ، فكنت أتأمله من الخارج وهو مهين ، وعليه بذلة سنجابية ضاربة للخضرة ، ولكنى كنت أتأمله بعدم اكتراث ، وأقول فى نفسى إنى مع علمى بأن هذا جسمى فلا يوجد شىء يجعلنى أشاطره العذاب الذى هو فيه ، وكنت أنظر اليه كأنه جسد إنسان غيرى . وكنت أعلم أن جسمى هو الذى كان واقعا تحت هذه الآلام المنيفة ، ولكنى أنا ، أى روحى ، فما كنت أشعر بشىء .

« وقد ظهر لى طوال المدة التى مكثتها على هـذه الحالة بأن ما حدث أمر طبيعى محض . ولكنى لما عدت الى جسدى أدركت أنى شهدت أعجب تجربة فى حياتى . فلا شىء بعد هذا يستطيع أن يزعزع عقيدتى المطلقة ، واقتناعى التام ، بأن روحى فى تلك الليـلة الجهنمية قد انفصلت انفصالا مؤقتا عن جسدى » . (يتبع)

نقول : إننا ننشر هذه المشاهدات بحسب ترتيبها فى كتاب الأستاذ (بوزانو) ، وقد اعتاد العلماء أن يتدرجوا من القوى الى الأقوى فى الدلالة ؟

محمد فريد وجدى

الطلاق

مشروعيته فى القانون المقارن

إن من الأمثلة البارزة التى يمكننى أن أدلل بها على أن التشريع الاسلامى هو تشريع قائم بنفسه وغير مأخوذ عن القانون الرومانى ، هو تباين التشاريع المختلفة العظيم فى مشروعية الطلاق . وإننى سأنهج فى بحثى هذا المنهج الذى سلكته فى أبحاثى السابقة تماما ، أى أننى سوف أبحث عن مشروعية الطلاق فى (١) القانون الرومانى (٢) فى القرون الوسطى (٣) فى فرانسا إبان الثورة الافرنسية (٤) فى فرانسا فى الوقت الحاضر (٥) عند العرب فى الجاهلية (٦) فى التشريع الاسلامى .

(١) الطلاق فى القانون الرومانى :

كان النكاح يقسم عند الرومانيين الى قسمين : نكاح مع السلطة ، نكاح دون ما سلطة . (١) أما فى النكاح مع السلطة Mariage cum manus فان المرأة كانت تحت سلطة زوجها كأحد أولاده سواء بسواء ، لذلك لم يكن لها أى وسيلة للتخلص من زوجها . أما الزوج فانه يقدر أن يطلق امرأته ، وذلك بأن يضع حدا لسلطته وسلطانه عليها « مانوس » manus ، بأن يتبع نفس الأسلوب الذى أدخلها به تحت سلطته . (٢) أما فى النكاح دون ما سلطة mariage sine manus الذى كان يعتبر كحياة فعلية نجمت عن رضا الطرفين فقط ، فان النكاح يتلاشى بتلاشى هذا الرضا ، وذلك إما أن يكون برضا الطرفين ، أو أن يكون برضا أحدهما سواء أكان الرجل أم المرأة ، وهذا الطلاق يحصل دون وساطة القضاء ، فللإنسان أن يتزوج وأن يطلق بكل سهولة ، حتى إنهم أساءوا استعمال هذا التشريع فى باكورة الحكم الامبراطورى ، حتى إن النساء - كما قال أحد المؤرخين - كن لا يؤرخن السنين بأسماء القناصل كما كان عليه الأمر من قبل ، بل كن يحصين السنين بأسماء أزواجهن (١) .

أما (أوغست) الذى كان لا يألو جهدا لمحاربة قلة السكان فإنه كان يجبر من يريد أن يطلق زوجه أن تبلغه ذلك أمام سبعة شهود . أما إبان حكم جوستنيان فإنه كان يوجد أربعة أنواع للطلاق : (١) الطلاق برضا الطرفين ، (٢) الطلاق لأسباب شرعية كالعقم والعنة ، (٣) الطلاق كعقاب لأحد الزوجين ؛ وفى هذا النوع كان للرجل حالات أكثر من الحالات التى يمكن للمرأة أن تطلق بها الرجل ؛ فالرجل يمكنه أن يطلق امرأته إذا ذهبت دون إذنه الى الحمام أو أكلت بصورة علنية أو ذهبت الى الملعب cirque مع أجنبى ، أو ارتكبت الزنا ؛ أما المرأة فانها يمكنها أن تطلق زوجها إذا دخل فى مؤامرة ضد سلامة الدولة ، أو إذا زنى فى منزل الزوجية أو على الأقل فى البلدة التى تقيم فيها امرأته ؛ (٤) الطلاق دون ما سبب . وفى هذا

---

(١) فوانى . القانون الرومانى ص ٧١

النوع يجوز لأحـد الزوجين أن يطلق الآخر حتى ولو لم يكن هناك سبب شرعي أو غيره ، فالطلاق وإن كان صحيحا إلا أنه يوجب عقوبة على من يريد إيقاعه على الزوج الآخر (١) .

(٢) الطلاق فى القرون الوسطى :

كان النـكاح عند الجرمانيين يحصل بشكل بيع : فالزوج يشترى المرأة من أبيها . وهذا البيع كان حقيقيا فى بادئ الأمر ، ثم صار بشكل رمزى ، وللرجل أن يطلق امرأته متى أراد ، ثم صار الطلاق يستعمل برضا الطرفين .

تأثير الـكنيسة : إن الـكنيسة عملت منذ البداية ضد مشروعية الطلاق ، وإن هـذا الأمر يعود منشؤه الى كلام صادر عن المسيح عليه السلام . قال مسيو (بلانيول) (٢) أحد أساطين وجهابذة القانون فى فرنسا : « لقد حصل خلاف بيّن بين الإنجيليين على ذلك : فإن القديس متا يجيز الطلاق فى إنجيله إذا كان سبب ذلك الزنا ، ولـكن القديس مرقس والقديس لوكا لا يجيزانه مطلقا ، وإن كثيرا من البابوات كانوا فى سحابة قرون عديدة منهم (ترتوليان) يجيزون الطلاق أخذا بنص القديس متا ، ولـكن مبدأ عدم تلاشى النكاح المطلق فاز بصورة نهائية فى العصر الثانى عشر ، حتى إن كراتيان ، وبير لومبارد ، قررا أن الطلاق لا يجوز حتى مع ثبوت الزنا » .

ولـكن كان يوجد ما يلطف هذا المنع : (١) أن القانون الـكنسى كان قد نظم التفريق الجسدى بين الزوجين Separation de corps إذا أصبحت الحياة الزوجية غير ممكنة بينهما ، وبذلك يعيش الزوجان متباعدين ، ولـكن العلاقة الزوجية تبقى قائمة الى أن يموت أحدهما (٣) ، فالمرأة كانت بصورة خاصة تستفيد من ذلك لأنهـا يمكنها أن تطلب التفريق الجسدى فى كل الأحوال ، أما الرجل فإنه لا يستطيع أن يطلب ذلك إلا إذا زنت امرأته ، (٢) أن كثرة الأسباب المبطلة لعقد النكاح ـ وبذلك يصير النكاح كأنه لم يكن ـ والتى كان القانون الـكنسى يقبلها ، كانت تلطف فى بعض الأحيان عواقب هـذا المنع ، ولـكن هـذا التلطيف كان غير تام لأن أسباب بطلان النكاح كانت تعود الى أسباب سابقة أو مقارنة للعقد ، كعدم حصول الرضا أو الإكراه على الزواج . أما ما يحصل بعد العقد كالزنا وغيره فإنه لا يؤثر عليه قط .

(٣) الطلاق فى فرنسا إبان الثورة الافرنسية :

لقد ذهب رجال الثورة فى سنة ١٨٩١ الى مشروعية الطلاق ، وألغوا التفريق الجسدى لأنه يعود الى منشأ دينى ، فقد جاء فى مقدمة القانون « أن الطلاق ناجم عن الحرية الشخصية ، والعقد الذى لا يمكن تلاشيه يكون مضيعا وحاجزا لهـذه الحرية » . وكان الطلاق فى هذا

(١) موجز دالوز ، القانون الرومانى ج ١ ص ٢٢٥
(٢) بلانيول ، القانون المدنى ج ١ ص ٣٦٧
(٣) موجز دالوز ، تاريخ القانون الافرنسى ص ١٧٧

العهـد يتم إما برضا الطرفين ، أو لسبب معين ، كأن يرتكب أحدهما خطأ تجاه الآخر ، أو أن لا تتوافق طباع الزوجين وأمزجتهما . ثم ذهبوا الى أكثر من ذلك فى التساهل فصدر مرسوم سمح بموجبه لضابط الأحوال المدنية أن يلفظ الطلاق إذا شهد ستة شهود بأن الزوجين يعيشان متباعدين منـذ ستة أشهر على الأقل . أما فى القانون المدنى الافرنسى الصادر سنة ١٨٠٤ فان المشرع قد وضع كثيرا من القيود للحصول على الطلاق ، فانه قد نص على أن لا يتم الطلاق إلا بواسطة القضاء ، ووضع شروطا وقيودا كثيرة يتطلب الراغب فى الطلاق عدة سنين للوصول الى تحقيقها ، وقد حدد له أسباب معينة منها الزنا ، والحكم على أحد الزوجين بعقوبة شاقة ، وسوء العشرة ، إلا أنه مع ذلك كله أجاز الطلاق إذا رضى الطرفان بذلك .

أما فى سنة ١٨١٦ فان الطلاق قد منع ولم يبق مسموحا إلا بالتفريق الجسدى .

(٤) الطلاق فى فرانسا فى الوقت الحاضر :

لقد بذلت جهود عدة لإعادة الطلاق فى سنة ١٨٣٠ ، ١٨٣٤ ، ١٨٤٨ ، ١٨٧٦ ، وكان الإخفاق رائدها ، ولم تتم الموافقة على إعادة الطلاق إلا فى سنة ١٨٨٤ ، وقد قيد المشرع الطلاق بقيود عـدة ، وأجازه لأسباب معينة ؛ وهى (١) زنا أحد الطرفين (٢) الحكم على أحـد الزوجين بالسجن : كالحكم بالاعدام أو الأشغال الشاقة أو النفى أو الحبس (٣) سوء العشرة كحبس وحجز أحد الزوجين للآخر (٤) Injures graves الاهانة العظيمة كالشتم والاهانة باللفظ أو بالكتابة ، وتعاطى السكر الدائم والعلنى ، وتعاطى الميسر إذا كان ذلك قد يسبب إهانة للزوج الآخر ، والامتناع عن القيام بالواجبات الزوجية ، والنشوز .

أما القيود الأخرى فهى أن يقدم الزوج الراغب فى الطلاق عريضته بنفسه حتى إنه إن كان ما يمنع عن ذلك ينتقل رئيس المحكمة الى منزله ، وأن يحاول رئيس المحكمة بنفسه للتوفيق والصلح بينهما ، ويقرر فى الحال السماح للزوجين بعدم السكنى معا ، ويعين للزوجة المنزل الذى يجب أن تقطن فيه ، وينظم حياة الأولاد ، وما الى ذلك من أمور ، حتى إنه للمحكمة بعد ختام المحاكمة أن تؤجل الحكم ستة أشهر عسى أن يحصل الصلح بينهما . لقد رأى المارشال « بيتان » أن الوسيلة الوحيدة لإنهاض فرنسا بعد كبوتها هو إصلاح نظام العائلة ، لأن الوطن الأصلى مركب منها فلم يأل جهدا فى سن التشاريع الجديدة فى شتى المناحى لإنهاضها من عثرتها فأذاع راديو الشرق باللغـة الافرنسية فى ١٢ / ٤ / ١٩٤١ أنه صدر قانون فى الجريدة الرسمية يمنع بموجبه تقديم طلب الطلاق قبل مضى ثلاث سنين على عقد النكاح ، وأنه يجب على القاضى بعد تقديم الطلب أن يسعى للصلح بين الزوجين مرتين بين كل مرة سنتان ، أى يجب أن لا يحصل السير فى الدعوى إلا بعد مضى سبع سنين على النكاح ، وأمر أن تكون دعاوى الطلاق سرية بعد أن كانت علنية لأنها تضر بالأخلاق ؟

« يتبع »

فخر الدين الصاحب

من وحى الشريعة الخالدة

كلما اطلع الباحث فى آفاق هذا المجتمع وما يجد فيه من أحداث وعبر ، وما يطالعه من عظات ونذر ، وجد كل ما ينشده من حلول لما استغلق عليه ماثلا فى وحى الشريعة وأخلاقها .

فوحى الشريعة وأخلاقها وآدابها فى كل عصر وجيل هو المعقل الحصين ، وهو الركن الركين ، لا بل هو المنهل العذب الذى تصدر عنه البشرية منذ فجرها الأول ، وهو الهدى المضىء إذا عميت السبل على الحكماء ، وشملت الحيرة قلوب أهل الخبرة .

والإنسان بما وقر فيه من غرائز حادة وعلل متضادة ، مفطور على الشد النوعى . ومن أجل ذلك جاءت الشريعة فى وحيها وحوافزها خير مطهر للإنسانية من درنها ، وطامح بلوثاتها وأكدارها .

وشر ما يبدو فى الانسان شهوة الجدل والمراء ، وقد نعاها الله على الانسان فقال جل ثناؤه : « وكان الانسان أكثر شىء جدلا » . فالجدل والمراء من خلائق الانسان ، وخير الموفقين فى الظفر بالمقصود و نيل المدد المنشود ، أولئك الذين حاسبوا شهواتهم فى الجدل والمراء ، ثم تحاكموا معها الى العقل الراجح والرأى المكافح ، وأجالوا عيون بصائرهم الى ما فى الأفق الاجتماعى من محاسن ومفاخر ثم جعلوها لهم أهدافا ، واتخذوها من دون غيرها أكنافا . هـذا الفريق من الناس بلغ شأوا فى الكمال مرموقا لا يكاد يصل بين حلقاته فى سلسلة مترسلة إلا كان خليقا بالاطراء والحمد والثناء والرشد .

وليس الجدل والمراء إلا ظاهرة هجينة فى آفاق هـذا المجتمع . وكثيرا ما أفسدت تلك الظاهرة على المصلحين ميولهم ، وقذفت بكثير من المشاريع النافعة فى أتون من الأحقاد والإحن والسخائم ، وعجز طلاب الإصلاح عن الاستمرار فى مرتجلاتهم أحيانا وأبوا استئنافها أحيانا . وكثيرا ما فاضت القلوب الخيرة بشتى الاتجاهات فى طرائق الإصلاح ومسارب الجد ولكنهم خافوا أن يقوم حول اتجاهاتهم جدل أو مراء ، وأن يعصف الجـدل والمراء بتلك المشاريع النافعة ، وهو أعصى ما يقف فى طريق المصلحين من عقبات . وليس الجـدل والمراء إلا معولا حادا من معاول هذا الكون ، وسوسا ينخر فى عظام بنيانه .

ولقـد عنى علماء الأخلاق وفقهاء المجتمع بأمراضه كالعلامة المحقق ابن حزم ، والعلامة الغزالى ، والباحث الثبت ابن رشد ومن إليهم ، نخلص العلامة ابن حزم بعد بحوث مستفيضة الى أن الجدل والمراء عيب خلقى أحرى بالعقول المثمرة أن تتضافر على مناهضته والقضاء عليه بما لا يدع منه أثارة بين طلاب الاصلاح ورواد الهدى .

ولعل قصة ابن أبي السائب رضى الله عنه شريك النبي صلى الله عليه وسلم في فترة من فترات تجارته تلقى على قلوبنا قبسا من نور ، فنتبين منها كيف كان الرسول الأعظم يجانب تلك الخلال ، ويتأسى بخلقه عنها ؛ فقد روى أبو داود في صحيحه عن ابن أبي السائب أنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يثنون على ويذكرونني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أعلمكم به ، قلت : صدقت بأبي أنت وأمي ، كنت شريكي ، كنت لا تدارى ولا تمارى » .

وأخرج الترمذي في صحيحه عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه » .

فالجدل والمراء لوثة أخلاقية تتجافى عنها أخلاق الكرام وتأباها الخلائق الرضية .

أما أن الجدل والمراء ظاهرة من ظاهرات العلوم الآلية يتسلح بها العلماء الآليون لقهر خصومهم في قضاء أوطارهم ابتغاء مجد منشود وصيت ممدود ، وأن العلماء خلقاء بما يسميه الأخلاقيون جدلا ومراء ، وما يدعونه فيما بينهم حمدا وثناء ، وتحقيقا للمناحي العلمية التي لا تخلص الى النفوس إلا بالجدل ، فبحثه فرصة سانحة ، فإلى الغد ؟

عباس طه

دفع الخطأ عن الصواب

أرسل إلينا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد اللطيف السبكى ملاحظة على ملاحظة جاءت في حقه بمقال لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد المدنى ؛ فلم نتمكن من نشرها في العدد التالى لتزاحم المواد ثم اضطررنا لتلخيصها تفاديا من ارجائها ثانية . وقد جاء في التلخيص هذه العبارة : « ونسب إلينا أننا اقتبسنا فيه بالنص ذلك الخطأ البين » وهى في السطر السابع من صفحة ٣١٥ من العدد السابق .

فكتب إلينا فضيلته يقول إن هذه العبارة ليست من كلامه لانه لا يعتبر الرأى الذى توافق فيه هو والأستاذ احمد بك أمين خطأ . فرأينا أن نستدرك ذلك بهذا البيان .

* * *

وجاء في العدد السابق أيضا ص ٢٦٧ س ٥ :

والعمرة هى الطواف بالبيت في غير وقت الحج ، وصوابه أنها الطواف بالبيت مطلقا .

زيارة دولة رئيس الوزارة
لمعهد شبين الكوم

لما شخص حضرة صاحب الدولة حسين سري باشا رئيس الوزارة الى شبين الكوم ، تفضل فزار المعهد الديني ، فاستقبل هنالك بما يليق بمقامه الكريم ، وألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الموقر الشيخ عبد الجليل عيسى شيخ المعهد كلمة ترحيب بدولته ، نثبتها هنا ، ونعقبها بما دار بين دولته وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام من تلغراف الشكر المتبادل .

قال فضيلة الأستاذ شيخ المعهد :

يا صاحب الدولة :

يشرفني أن أرحب بدولتكم في هذا اليوم المبارك ، ترحيبا يتناسب وشرف القصد من اختصاصكم المعهد بهذه الزيارة الكريمة دون سائر المعاهد في هذا الإقليم ، فان شعارنا معاشر العلماء رد التحية بأحسن منها ، وسبيلنا الاعتراف بالفضل لذوي الفضل .

يا صاحب الدولة :

تفضلتم تخصصتم معهد شبين الكوم بزيارتكم ، وهي ظاهرة طيبة تدل على أنكم تترسمون خطا صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم « فاروق الأول » في احترام رجال الدين ، وفي الحرص على تعرف أحوالهم ، وفي الحدب على مجاملتهم . واسمحوا لي يا صاحب الدولة أن أقول : إنهم جديرون بهذا التكريم ، وخليقون بهذا العطف ، فهم حملة كتاب الله ، وهم طلبة العلم الشريف ، وهم رمز القومية في هذا البلد الأمين .

يا صاحب الدولة :

وسط مشاغلكم الكثيرة في هذا الوقت العصيب ، تريدون أن تؤدوا واجبكم في تعرف حال الناس ، وفي الاتصال عن كثب بنواحي الحياة المختلفة في أنحاء البلاد ، لتكونوا على بينة من أمر من ولاكم الله أمرهم ، وطالبكم بالعمل من أجلهم ؛ وهو شعور طاهر ، وخلق كريم ، وأمانة في الواجب ؛ وقد كان هذا سبيل الولاة ، وطريق الحكام ، حين كان الولاة والحكام يراقبون الله في عباد الله ؛ سهروا الليالي ، وقطعوا الفيافي ، باحثين ومنقبين عن حاجات الناس ، وأحوالهم ، وآلامهم ، وآمالهم ، ثم وضعوا العلاج ، ورسموا طريق الإصلاح ، فكانوا ألصق بالنجاح ، وأقرب الى التوفيق .

يا صاحب الدولة :

هذا المعهد الذي يتشرف اليوم بزيارتكم ، حديث عهد بالوجود ، فلقد أنشئ منذ أربع

سنوات ، ولا يدهشكم ما قد ترون فيه من إعداد كامل ، ونظام شامل ، فهو ثمرة من ثمرات عهد الملك الصالح « فاروق الأول » حفظه الله . فإلى جلالته يرجع الفضل كله فى شد أزر صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ، شيخ الجامع الأزهر ، ذلكم المصلح الفذ ، الذى يعمل لخير الأزهر ، ولخير الوطن ، بروح صادقة وقلب مخلص ؛ وهو فوق أنه مفطور على حب الخير ، وحب الإصلاح ، يستلهم مالكا عقليا ، يحب الخير ، ويحب الإصلاح ، ويحب أهل الخير ، وأهل الاصلاح ؛ يشجعهم ، ويرضى عنهم ، ويقربهم ، ويحسن إليهم .

يا صاحب الدولة :

أعود فأكرر الشكر لدولتكم على هذه الزيارة الكريمة ، وأرجو أن تتقبلوا الشكر منى ، ومن حضرات إخوانى علماء المعهد ، وأبنائى الطلاب .

وسنذكر دائما أن حضرة صاحب الدولة حسين سرى باشا حين شرف شبين الكوم ، اختص المعهد الدينى بزيارته ، فسجل بذلك حبه لرجال الدين ، وتشجيعه لطلاب العلم الدينى ، وفى ذلك تقرب الى الله . ومن كان هذا شأنه ، فأولئك هم المفلحون ، إن شاء الله .

صورة البرقيــة

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالقاهرة .

سررت مما شاهدته اليوم عند زيارتى للمعهد بشبين الكوم ، وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لفضيلتكم عن شكرى لحضرات شيخ المعهد والأساتذة والطلبة ، وعن خالص تهنئتى لفضيلتكم .

امضاء

حسين سرى

صورة خطاب الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر

صاحب الفضيلة الأستاذ شيخ معهد شبين الكوم .

السلام عليكم ورحمة الله .

وبعد : فقد تلقيت البرقية المرسلة صورة منها مع هذا من حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء ، ويسرنى أن أبعث بها إليكم لتعلنوها لحضرات الأساتذة والطلاب مع سرورى وتحياتى .

والسلام عليكم ورحمة الله .

امضاء

محمد مصطفى المراغى

of dissolution of marriage, the husband can retain no part of the wife's property, including her ante-nuptial settlement; and, if the administration of the wife's estate was entrusted to him, he must render the wife an account of such administration. Her property is in fact jealously guarded on all sides, and no restrictions are placed on the individual right she has in her belongings. She possesses the right of dividing and alienating her property, and this right of alienation is in regard, not only to her husband but to every body else. She can sue her husband, as she can sue her other debtors, in the open court. She does not require her husband or father, to represent her at law. She can act as an executive and can enter into any contract independently.

A Moslem wife retains her distinct individuality even after marriage, and she never assumes her husband's name. Coverture has no place in the marriage of Islam.

Marriage under Islam is but a civil contract, and not a sacrament, in the sense that those who are once joined in wed-lock can never be separated. It may be controlled, and under certain circumstances, dissolved by the will of the parties concerned. Public declaration is no doubt necessary, but it is not a condition of the validity of the marriage. Nor is any religious ceremony deemed absolutely essential. Two witnesses are required to attest that the contract has been concluded [1].

---

(1) The whole history of the Christian laws, of marriage and divorce, furnishes a very interesting and instructive reading to a Moslem jurist: for, he perceives, perhaps not without a feeling of just pride, that his Christian brethren are coming nearer to Islam, at least in their conception of marriage and the relations to which it gives rise. In all European countries, the laws relating to marriage and divorce have been revised and recast, and the changes introduced, when examined will be found to exhibit in some of their broad features, a very close analogy to the Islamic laws, framed several centuries before. Thus, in Germany, for instance, the code of 1900 recognises civil marriages alone. 'It is effected by the declaration of the parties before a Registrar, in the presence of each other, of their intention to be married. Two witnesses of full age must be present. The Registrar asks each of the parties whether he or she will marry the other, and on their answer in the affirmative, declares them duly married, and enters them in the register. The marriage must be preceded by a public notice.' Dissolution of marriage has long been recognised in Germany and the United States of America. In England, divorces were very rare till 1857, when the powers exercised in matrimonial matters by the house of Lords, the Ecclesiastical Courts of Common Law were transferred to a lay court termed, 'The Court for Divorce and Matrimonial Causes,' and constituted for the administration of all matters connected with divorce. In France, a similar change came about in the year 1884. In Italy divorces are still almost unknown.

best manners, and shows the greatest kindness to his wife and children."

5. "Fear God in regard to the treatment of your wives, for verily they are your helpers. You have taken them on the security of God, and made them lawful by the words of God."

6. Once the Prophet portrayed an ideal wife in the following words : "She is the ideal wife who pleases thee when thou lookest at her, obeys thee when thou givest her direction ; and protects her honour and thy property when thou art away."

7. "The world is full of objects of joy and delight, and the best and the most profitable source of delight is a pious, chaste woman."

8. "Paradise lies at the feet of mothers."

9. "Search after knowledge is obligatory both on Moslem men and Moslem women."

1. The Object of Marriage

The object of marriage was defined by the Prophet in clear unambiguous words. It was never meant to be a means of satisfying the sensual appetite ; but, on the other hand, it was instituted, in the first place, as a safe-guard against lewdness and incontinence, and, in the second place, as a means of procreation. It is on these and similar grounds, that he always encouraged a married life in preference to a life of celibacy, and laid so much stress on the piety and fruitfulness of women. "Whoever marries a woman solely for her power and position," said the Prophet, "God but increases his humiliation ; whoever marries a woman solely for her wealth, God but increases his poverty ; whoever marries a woman solely for her beauty, God but increases his ugliness ; but whoever marries a woman, in order that he may restrain his eyes, observe continence, and treat his relations kindly, God putteth a blessedness in her for him, and in him for her."

Thus piety and continence are uppermost in the conception of Islam, as the prime motive of marriage. This is clear enough in another saying of the Prophet. "There are three persons," said he, "whom the Almighty Himself has undertaken to help—first, he who seeks to buy his freedom ; second, he who marries with a view to secure his chastity ; and third, he who fights in the cause of God."

Another saying of the Prophet is equally clear on this point : "He who marries, completes half his religion ; it now rests with him to complete

there a man who walks with his wife hand in hand, but that God sets it down as a virtue for him; and if he puts his arm round her neck in love, his virtue will be increased tenfold."

Once again, he was heard praising the women of the Koreish, "because," said he, "they are the kindest to their children while they are infants, and because they keep a careful watch over the belongings of their husbands."

In another instance the Prophet of Islam said: "There are four things, such that if a person is endowed with any one of these, it is as if the blessings of both worlds were showered upon him: first, a heart that is grateful; second a tongue that utters constantly the name of God; third, a mind that is patient and calm amid troubles; fourth, a wife that is never guilty of a breach of trust, either in respect of her own person or in respect of her husband's property."

I will now give some further sayings of the Prophet Mohammad, on the question under discussion, which I hope will shed more light on the position assigned to women in Islam.

1. "Among my followers the best of men are they who are best to their wives, and the best of women are they who are best to their husbands.... To each of such women is set down the reward equivalent to the reward of a thousand martyrs... Among my followers, again, the best of women are they who assist their husbands in their work, and love them dearly for everything, save what is a transgression of God's laws. The best of men, on the other hand, are they who treat their wives with the kindness of a mother to her children. To each of such men is set down a reward equivalent to that of a hundred martyrs." On being asked by Omar, who afterwards rose to be the second Caliph, why woman's reward should be ten times greater than man's, the Prophet said: "Do not you know that woman deserves greater reward than man? for, verily, Almighty God exalts the position of a man in heaven, because his wife was pleased with him and prayed for him."

2. "The best among you is he who is the kindest to his wife, and I am the kindest of you all to my wives."

3. "What are the rights that a wife has over her husband?" asked Moawiyah; and the Prophet forthwith replied: "Feed her when thou takest thy food; give her clothes to wear when thou wearest clothes, refrain from either giving a slap on her face or even abusing her; separate not from thy wife, save within the house."

4. "Verily, of the believers he has the most perfect faith who has the

of unmixed evils. He said : "Let not any Moslem be harsh in his treatment of his wife ; for if certain aspects of her conduct displease the husband, certain others will please him." He neither desired that woman should be the bond-slave of her husband, nor did he countenance the idea, that woman should be so far free as to overstep her proper limits and encroach upon the sphere of her husband. On the principle of division of labour, Islam assigns to each a particular sphere of work, on the faithful discharge of which depends the happiness of hearth and home. Woman, in her capacity of a good mother and a devoted wife, is the queen of her home, while the husband is to protect her from all danger and temptation, earn his bread by the sweat of his brow in the open world, and provide for the maintenance of the family. In connection with this setting apart of spheres of work with regard to the nature, constitution, mental habitude and position of the person concerned, the Prophet of Islam said : "All of you are so many sovereigns, and all of you will be required to render account in respect of whatever persons or things you have under your charge. So the chief who is sovereign over his subjects, shall be questioned about the treatment he accorded to men placed under his control ; the head of the family is the sovereign of the house and he shall be questioned with respect to the members of the house ; and woman is sovereign in the house of her husband, and rules her children and she shall be questioned about these, and the slave is sovereign over his master's belongings, and he shall be questioned about them."

The ruling idea in the teachings of Islam with regard to man and woman, is that the husband and the wife should supplement each other, call into play the distinctive excellence of their respective character, and, in mutual confidence, strive to work out their united happiness. Woman is to exercise her beneficient, humanising influence over her husband, soften the hardness of his nature and level down the stiffness of his character ; while man, for his part, is to educate her mind and help her to realise those womanly qualities, in which she by her very nature excels. This is the conception of wife-hood which the Prophet of Islam favoured, as is inferred from some of his sayings. "A woman is married for four reasons," said he, "either in consideration of her wealth, or her noble parentage, or her beauty, or her piety. Succeed then in getting a woman of piety for your wife, for she is to her husband a helper in life, and she remains content with little."

On another occasion he told a certain woman who had brought a complaint against her husband : "There is no woman who removes something to replace it in a proper place, with a view to decorate her husband's house, but that God sets it down as a virtue for her. Nor is

observes thus : "Physically, men have the indisputable superiority in strength, and women in beauty. Intellectually, a certain inferiority of the female sex can hardly be denied, when we remember how almost exclusively the foremost places in every department of science, literature and art have been occupied by man... It is as impossible to find a female Raphael, or a female Handel, as a female Shakespeare, or Newton." Lecky, however, thinks, and perhaps rightly enough, that morally the general superiority of women over men is unquestionable. Be that as it may, when once we admit the physical and intellectual superiority of man over woman, we cannot deny that woman has to depend upon, and take advantage of, the intellectual resources and superior strength of the opposite sex; and this is precisely what Moslem doctors hold to be the import and significance of the verse under consideration.

Some critics made needless comments on the following saying of the Prophet : "Treat women with kindness, for woman was made of a rib which is crooked in the upper part; if you try to bend it straight, you will break it, and if you leave it as it is, it will remain so." In these words the Prophet only appeals to the good sense of man and the kindliness of his heart, by reminding him of the natural weaknesses of the fair sex ; so that we may not expect of women things out of proportion to their talents and capabilities ; for in such expectations we are likely to be disappointed, and our disappointment may tempt us to accord to them harsh treatment. The Prophet, therefore, exhorts his followers to be rather generous and forgiving than severely exacting and calculating. It is as if the Prophet said to his followers : "I am giving you sound advice relative to what your treatment should be towards women, carry out therefore my will respecting them. Do good to them ; and be not angry with them, if they act in a way not acceptable to you, unless, of course, the deed involves any positive sin; for, they are made of a crooked rib (and, as such, are naturally liable to error.)

Elsewhere, the Prophet has positively warned us against running after scandals and constant searching after the secrets and faults of women, since such a course of action may impair the conjugal relations, and finally lead to the absolute dissolution of the marriage bond.

Close acquaintance with the teachings of Islam repudiates the false charge, that the Prophet is responsible for the degradation of woman. The Prophet saw the weak points of woman's character, as well as its strong points. He regarded woman as physically and intellectually inferior to man in general, but richer in nobler emotions of the heart, in tenderness and delicacy of feeling. No body can be so bold as to say, that the Prophet saw nothing good in woman, and conceived her to be a bundel

the wrong interpretations that have been put, from time to time, on certain verses of the Koran and certain sayings of the Prophet of Islam, they have a firm hold on the imagination of the critics of the West.

One of the verses of exquisite beauty which have been subject to misconstruction in certain quarters, is: "They (the wives) are a garment for you and you are a garment for them." It is garment that hides one's nakedness; so do husband and wife, by entering into marriage relations, secure each other's chastity. The garment gives comfort to the body; so does the husband find comfort in his wife's company, as she in his. The garment is the grace, the beauty, the embellishment of the body, so too are wives to their husbands, as the husbands, to them.

Another verse which has been similarly misconstrued is the verse which the Rev. Rodwell translates thus: "Men are superior to women on account of the qualities, with which God hath gifted the one above the other, and on account of the outlay they make from their substance for them. Virtuous women are obedient, careful during the husband's absence, because God hath of them been careful." From this verse several critics have drawn the erroneous inference that in Islam woman holds a very subordinate position, and that she has been placed under man's tyrannical sway, she having no choice but to submit to his arbitrary dictates and self-willed decrees. Even accepting the Rev. Rodwell's translation of the verse as correct, the sense of the verse appears to be nothing more than this: that man should treat his wife with love and affection and provide for her from his abundance, while woman should preserve her honour, attend to domestic duties and look up to him as her friend, philosopher and guide. Understood thus, the verse has nothing revolting to our feelings, and describes the relationship between husband and wife as it naturally ought to be. There is nothing in the verse to imply that the wife's judgment is in any way fettered, that she is simply the slave of her husband's desires, or that she is at best an 'ornamental article of furniture.' Neither, according to respectable commentators of the Koran, does the verse admit of the meaning which superficial critics have wilfully put upon it. These commentators understand the verse to point out a man's right to exercise a certain control over his wife, and his duty to provide for her security and sustenance. The superiority of man over woman rests on certain innate qualities which man generally possesses in greater proportion, in regard to knowledge and power. In power of endurance, in audacity and courage, man has a decided advantage over his fair sister. Prophets, apostles, distinguished philosophers and commanders of armies have all been men, not women. Lecky, himself undoubtedly a clear thinker and discerning critic, while discoursing on the distinctive difference between the sexes.

Eastern divorce. If the social touch-stone of a religion is the way, in which it regards the poor and the oppressed, Mohammed's religion can stand the test. He improved the condition of women by freeing them from the arbitrary patriarchal power of the parents or the heirs of the husbands, by inculcating just and kind treatment of them by their husbands themselves, by giving them legal rights in case of unfair treatment, and by absolutely prohibiting the incestuous marriages which were rife in the times of ignorance, and the still more horrible practice of the burying alive of female infants. Nor was this all, for besides imposing restrictions on polygamy, by his severe laws at first, and by the strong moral sentiment aroused by these laws afterwards, he has succeeded, down to this very day, and to a greater extent than has ever been the case elsewhere, in freeing all Mohammedan countries from those professional outcasts who live by their own misery, and by their existence as a recognised class, are a standing reproach to every member of the society, of which they form part [1]."

XVI

The Status of Women in Islam

It has been said that Islam, as a social system, has been a total failure, because "it has misunderstood the relations of sexes .. and by degrading women, has degraded each successive generation of their children down an increasing scale of infamy and corruption, until it seems almost impossible to reach a lower depth of vice." This is certainly strong language and calls for an investigation, as to whether Islam has really misunderstood the relations of the sexes, and whether it has really degraded women.

Very few of the critics take pains to determine what actually are the teachings of Islam in this respect, as embodied in the Holy Koran; and fewer still is the number of those who care to study the life of the Prophet, which is the most authentic commentary on the text of the Holy Book. It is therefore most regrettable that misconception should have arisen about the status of women in Islam — a point, on which the attitude of Islam is clear and unmistakable. I am afraid, many in Europe and in America form such strange opinions from a study of the tales of romance or books of travelling, written by professional globe-trotters. They see in the "harem," which is by the way a name in the East for the ladies' apartment, a home of gross sensuality and voluptuous pleasures. Such ideas have unfortunately prevailed in the West for a very long time; and supported by

(1) "Mohammed and Mohammedanism" by R. B. Smith, M. A., pp. 174-176.

THE RELIGION OF ISLAM

by

AHMAD A. GALWASH, PH. D., LITT. D.



مجـلة

نشر الفضائل والآداب الاسلامية

أصدرت إدارة هـذه المجلة عددا ممتازا على رأس سنتها التاسعة حافلا بالمقالات القيمة ، والبحوث النيرة ، للفيف من أجلاء العلماء ؛ وقد صدره حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الامام بدعوة صالحة رجالها فيها التوفيق وحسن الجزاء .

فنشكر لفضيلة الأستاذ مصطفى خفاجى رئيس تحريرها ، ولحضرة الهمام عوض افندى فتحي مدير إدارتها ، حسن صنيعهما راجين لهما زيادة التوفيق فى خدمة الآداب الاسلامية .